17 ème Année No. 850

Lundi — 17 — 10 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد « ٨٥٠ » القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٩ « السنة السابعة عشرة »

أنطون الجميل باشا :

خطبة الاستقبال

فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية

سيدى معالى الرئيس ، إخوانى ، سيداتى ، سادتى :

اسمحوا لى أن أتقدم بأجزل الشكر وأخلصه إلى إخوانى الذين تفضلوا فشرفونى بانتخابهم إياى زميلاً لهم فى هذا المجمع الموقر . وإنى أسأل الله أن يعيننى على استحقاق هذه الثقة الغالية ، وأن يُقدرنى على تكاليف هذا الشرف العظيم . ثم أخص بأجل الحمد وأطيبه صديقى الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك على استقباله الذى أشاع فيه من سراوة خلقه وسخى تقديره ما هز من عطفى وبسط من انقباضى . وإنى لأذاكره فى غبطة ولذة ما يحمل كلانا لأخيه من ذكريات عذاب نشأت منذ أكثر من ثلاثين عاماً فى ظلال الشباب وكنف الأخوة ، ولا يزال لها فى النفس إشراق وبالقلب نوطة . وأشهد لقد لابسته تلك السنين الطوال فزاملته فى جهاد العيش ، وآخيته فى نسب القلم : فى المدرسة الأعدادية ، وفى لجنة التأليف ، وفى تحرير (الرسالة) ، فلم أره تخلف يوماً عن مكانه بين أولئك الذين يعرفون كرامة النفس ، ويحفظون غيب الصديق ، ويقيمون قواعد العمل والمعاملة على أساس العلم والخلق .

ثم أرجو — أيها السادة — أن تشاركونى فى دعاء الله رب جميع الناس أن يتغمد برضوانه وغفرانه فقيدنا الكريم أنطون الجميل باشا . وإنى لأعترف أن خسارة المجمع فيه لن يعوض منها أن يكون خلفه مثلى . ولا أقول هذا مجاملة لسان ولا تواضع نفس ؛ فإنى صادقت الرجل خمس عشرة سنة بلوت فيها ما عنده . فأنا من أعرف الناس بفضله ومن أعلمهم بموضعه .

عرفت صديقى أنطون سنة ١٩٣٤ ، وكان لقاؤنا الأول فى دار صديقتنا المرحومة (مى) ، وكانت هى التى دبرت هذا اللقاء ودعت إليه ، فقد سمعته مراراً يذكرنى بالخير ويؤثر (الرسالة) بالثناء ، فجمعت بيننا فى مساء أحد من آحاد فبراير من تلك السنة ، وقالت بلهجتها الأنيقة وهى تعقد بينى وبينه المعرفة : - إن كلا منكما يعرف اسم صاحبه فى الأسماء ، ولعله يعرف وجهه فى الوجوه ، ولكنه لا يعرف أن ذلك الاسم لهذا الوجه . ومن سعادتى أن تكمل معرفتكما عندى .

فقال الجميّل وهو يبتسم ابتسامته الرقيقة المعبرة : نعم ، إنى أعرفك وإن لم أرك . عرفتك مما قرأت لك وسمعت عنك فوجدت بينى وبينك تشابهاً فى استعداد الفطرة وأسلوب العيش هى التى حببتك إلىّ وجذبتنى إليك . فقد بدأتُ حياتى معلماً للأدبَ كما بدأت .

ثم حررت جريدة (البشير) فى بيروت دينية يشوبها الأدب، وأصدرت (الزهور) فى القاهرة أدبية يهذبها الدين، وهاتان النزعتان أجدهما مجتمعتين فى (الرسالة). ثم كرهت التحيز لأى حزب، والتعصب لأى مذهب، والإضافة إلى أى شخص؛ فأنا أنشد الخير فى كل عقيدة، وأؤيد الحق فى كل هيئة، وأحب الجمال فى كل إنسان. ولولا أن (الأهرام) أمانة فى عنق لقطعت ما بينى وبين السياسة. ويظهر لى أنك تنهج فى حياتك هذا النهج، وتسلك فى عملك هذا المسلك ...

ثم تشاجن الحديث وأخذ ثلاثتنا بأطرافه، فعلمت فى هذا المجلس وفى المجالس التى أعقبته، أن الجيل — فضلاً عن وجوه الشبه التى رآها بينه وبينى — أزهرى مثلى، يعرف قواعد اللغة كما يعرفها الأزهر، ويفهم تاريخ الأدب كما تفهمه دار العلوم.

ولست أعنى بأزهرية الجيل ذلك التأثير القوى الذى يؤثره الأزهر فى كل كاتب وفى كل شاعر من طريق مباشر أو غير مباشر، إنما أعنى بأزهريته ما أعنيه بأزهرية فقيدنا العزيز الآخر على الجارم، وهو أن كلا الرجلين كان ربيب مدرسة اشتقت من مصدر الأزهر وتفرّعت من أصله. والأمر فى أزهرية الجارم أبين من أن يبين، ولكنه فى أزهرية الجيل يحتاج إلى بسط قليل:

كان الأزهر فى أوائل النصف الأخير من القرن الماضى لا يزال وحده يرسل أشعة الثقافة فى العالم الإسلامى كله. ولكنه كان فى أثناء الغفوة العامة يحفظ علوم الدين ولا يجتهد، ويدرس فنون اللغة ولا يطبق. وكانت معاهد العلم فى المغرب والشام والعراق تتعلم فى كتبه وتجرى على مناهجه، حتى وقع فى سورية ومصر أمران خطيران كان لهما الأثر البالغ فى تطور المجتمع وتقدم التعليم ونهوض الأدب: حدوث الفتنة الدامية فى لبنان سنة ١٨٦٠، وولاية اسماعيل على مصر بعدها بثلاث سنين.

كان من أثر تلك المذبحة الأهلية أن لجأ اللبنانيون من قراهم إلى بيروت فتجمعت فيها الحركة، وأن وُضع للبنان نظامه الخاص ففتح بابه للأجانب، فدخله المستعمرون والمبشرون من فرنسا وأمريكا، وأنشأوا فى ظل الامتيازات الكلية الأمريكية سنة ١٨٦٦، والكلية اليسوعية سنة ١٨٧٤. وكان اللبنانيون فى عهد بنى عثمان كالموالى فى عهد بنى أمية، أبعدوا عن مناصب الدولة فاشتغلوا بالعلم، وحيل بينهم وبين موارد الثقافة فى عاصمة الخلافة فاعتمدوا فى التعلم على أنفسهم. وكانت (المدرسة الوطنية) التى أنشأها المعلم بطرس البستانى سنة ١٨٦٣ أول مدرسة تخرج فيها صفوة من الأدباء كانوا عدة الكليتين الأمريكية واليسوعية فى تعليم اللغة العربية. وكانت كتب التعليم فى هذه المدارس هى كتب الأزهر بعد أن بيّض اللبنانيون أوراقها الصُّفر، وسهّلوا أساليبها الوعرة، وقرنوا قواعدها الجافة بالأمثلة الشارحة والتطبيقات المدرّبة، واحتذوا فى تنسيقها على مثال ما درسوه من كتب التعليم الفرنسية.

ثم كان من أثر جلوس إسماعيل على كرسى الخديوية أن بسط ظلال الأمن على ربوع مصر، ومهد لرجوع المدنية إلى ضفاف النيل، فوفد علينا الأجانب للتبشير والتعليم والعمل والتجارة، وفيهم جماعتا الفرير والجزويت. ثم فتح ما انغلق من المدارس، ووصل ما انقطع من البعوث، وأسس نظارة المعارف، ووسع دائرة التعليم، فاقتضى ذلك كله أن ينشئ مدرسة يتخرج فيها المعلمون، فأنشأ دار العلوم فى سنة ١٨٧١ ليتخصص طلابها فى الآداب العربية، ويشاركوا فى العلوم الدينية والعقلية، ويأخذوا بنصيب من الثقافة الأوربية. وكان أساتذتها يومئذ من نابغى شيوخ الأزهر، وتلاميذها من متقدمى طلابه، وكتبها من أمهات كتبه. ولكن اتصال أهلها بالحياة المدنية، وتأثرهم بالآداب الغربية، واقتباسهم لطرق التعليم الحديثة، جعلت لهم فى التفكير والتعبير والسمت طابعاً خاصاً يميزهم من رجال الدين فى الأزهر وتوابعه. فدرسة دار العلوم كانت فى القاهرة أثراً لسياسة إسماعيل العامة، كما كانت المدرسة الوطنية فى بيروت أثراً لنظام لبنان الخاص. وكانت هاتان المدرستان — كما قلت — شعبتين من أرومة الأزهر، أمدّهما بالغذاء والرى، ووصلهما بالروح والحرارة؛ ولكنهما لأسباب متجانسة، وعوامل متشابهة، تميزتا منه بالشكل واختلفتا عنه فى الثمر. غير أن الاختلاف فى المدرسة المصرية كان ضعيفاً لقربها من الأزهر فى البيئة والعقيدة والعقلية والتقاليد، فهى فرع طبيعى من أصله، ونوع ممتاز من جنسه؛ ولكنه كان فى المدرسة اللبنانية شديداً لبعدها من الأزهر فى المكان والدين والتربية والسنن الموروثة

والصلات الأجنبية ، فهى أشبه بالطعمة الغريبة أُدخلت فى جذعه فجاء ثمرها مغايراً للأصل فى طعمه ولونه ، ومختلفاً عنه فى قيمته وجداه .

سارت المدرستان على جانبى الركب الحثيث فى طريق النهضة ، مدرسة مصر يمينية تتأنى وتتزّن ، ومدرسة لبنان يسارية تتسرع وتخف . وكان الزمام أول الأمر عندنا وعندهم فى أيدى المحافظين كحمزة وحفنى والمهدى والأسكندرى وشاويش ووالى هنا ، وكالبستانيين بطرس وسليم وسليمان ، واليازجيين خليل وناصيف وابراهيم هناك ، فكان التقليد غالباً ، والتطور بطيئاً ، والفروق بين المدرستين قريبة . فلما أسرع الركب ، واتصل القديم بالحديث ، وامتزج الشرق بالغرب ، انشقت من مدرسة دار العلوم المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالإيجاز والطبعية والسهولة والحرية والمنطق ، هى مدرسة لطفى السيد ، ومن رجالها قاسم أمين ، وفتحى زغلول ، وعبد القادر حمزة ، كما انشقت من المدرسة اليازجية المحافظة مدرسة أخرى تتميز بالشاعرية والطرافة والانطلاق والتمرد ، هى مدرسة جبران ، ومن أتباعها ميخائيل نعيمه ، وأمين الريحانى ، ومارى زيادة .

وظلت المدرستان الشقيقتان المصرية واللبنانية تنتجان الأدب فى ضروبه المختلفة بأسلوبين مستقلين ، أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر ، على ما كان بينهما من تفاوت فى الطاقة والمادة والصنعة والتقيد والتحرر ، وبقيت المدرسة الأزهرية الأم عاكفة على النظر المجرد والجدل العقيم بين أروقة الأزهر والزيتونة والأموى والنجف ، تنتج الخام ولا تصنع ، وتشحذ السلاح ولا تقطع ، فلم يكن لها فى ذلك المهد الثابر أدب غير أدب الشواهد ، ولا أسلوب غير أسلوب الحواشى ، حتى إن شيخاً من كبار شيوخها كان ناظراً بحكم عمله على وقف خيرى ، فاضطر إلى أن يكتب رسالة إلى محافظة القاهرة فى شأن من شؤونه ، فلم يفهموا مما كتب شيئاً . فلما أعادوا الرسالة إليه يستوضحونه المبهم ، ضحك هزؤاً بالجهل ، ومصمص أسفاً على العلم ، ثم كتب على الرسالة حاشية على طريقة : قولى كذا معناه كذا ، وقولى كذا أريد به كذا ، ثم ردها عليهم . ولو أنهم ردوها عليه مرة أخرى لكتب — رحمه الله — تقريراً على الحاشية .

* * *

كان الفرق بين مدرسة القاهرة ومدرسة بيروت كالفرق الذى كان بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة . كان البصريون يقدمون السماع فلا يرون القياس إلا فى حال تضطرهم ، ويتشددون فى الرواية فلا يأخذون إلا عن الفصحاء الخلص من صميم العرب ، لكثرة هؤلاء بالبصرة وقربها من عامر البادية . أما الكوفيون فكانوا لاختلاطهم أهل السواد والنبط يعتمدون فى أكثر المسائل على القياس ، ولا يتحرجون فى الأخذ عن أعراب لا يؤمن البصريون بفصاحة لغتهم . فالمصريون لقربهم من الأزهر واعتمادهم على القرآن ، وقلة اختلاطهم بالأجانب ، كانوا أشبه بالبصريين فى تقديمهم السماع ، وتشددهم فى القواعد ، وخضوعهم للمعاجم ، ونفورهم من الدخيل ، وجريهم على أساليب القدامى ، واعتقادهم أن العربية لغة العرب الأولين ، فلا يملك المولدون أن يَنقصوا منها ولا أن يزيدوا فيها . واللبنانيون كانوا لبعدهم عن بيئة القرآن ، وتأثرهم بأسلوب الإنجيل ، وكثرة اختلاطهم بالفرنسيين والأمريكيين ، وشدة احتياجهم فى الترجمة والصحافة إلى تطويع اللغة وتوسيعها لتعبر عن المعانى الحديثة ، كانوا أشبه بالكوفيين فى تقديمهم القياس ، وقبولهم الكلمات المولدة والنصرانية والدخيلة ، واقتباسهم بعض الأساليب الأوربية ، وتساهلهم فى بعض القواعد النحوية والتراكيب البلاغية ؛ ولذلك رماهم الدرعميون بضعف الملكة ، وسُقم الأداء ، وقصور الآلة ، فلم يقيموا لإنتاجهم وزناً ، ولم ينيطوا بمعاجمهم ثقة . ولكن الحق أن المدرسة اللبنانية كانت عملية تقدمية حرة ، وأكبت الزمن فى السير ، وطلبت العلم للعمل ، وسخّرت الأدب للحياة ، ونظرت إلى اللغة نظر الوارث إلى ما ورث ، يملك عليه بمقتضى الشريعة والطبيعة حق الانتفاع به على الوضع الذى يريد ، وحق التصرف فيه على الوجه الذى يحب . وقد تطوّقت العربية منها أيادى مشكورة بما أمدتها به من مصطلحات الفنون المختلفة ، وأسماء المخترعات الحديثة ، عن طريق الترجمة والتأليف والتمثيل والصحافة والتجارة . ثم كان فى جانبها الزمن وفى مؤازرتها الطبيعة ، ففعلا فعلهما فى تطوير المصرية حتى قل بينها وبين أختها الخلاف وكثر التشابه ، وجاء مجمع فؤاد الأول فأخذ بحكم قانونه يوفق غير عامد بين المدرستين ، فتسهّل فى القواعد ، وتجوّز فى الوضع ، وتسمّح فى الدخيل ، وسلّم بالواقع ، وأصغى إلى مذهب الإجماع اللغوى الذى يدعو

إليه الدكتور السنهوري ، وإلى مذهب القياس في اللغة الذي يقول به الأستاذ أحمد أمين .

والمتتبع لتطور المدرستين أيها السادة يرى أن كلتيهما قد مرت في أطوار ثلاثة : طور التقيد والمحاكاة ، وطور التحرر والاعتدال ، ثم طور التمرد والانطلاق . ولكن الانتقال من طور إلى طور كان في مصر متثاقلاً متداخلاً ، برود قبل النجمة ، ويحوم قبل الوقوع ؛ على حين كان في لبنان متسرعاً لا يتأنى ، مصمماً لا ينخزل . فبينما نجد مراشا الحلبي في (مشهد الأحوال) يقلد ابن حبيب الحلبي في (نسيم الصبا) ، وناصيفاً اليازجي في (مجمع البحرين) يقلد الحريري في المقامات ، وابراهيم اليازجي في (لغة الجرائد) ينهج نهج الحريري في (درة الغواص) ، إذ نجد آل البستاني وآل الحداد وزيدان ومطران والخوري والجميل وملاط يتوخون السهولة والابتكار والطرافة ، والجبرانيين والمهجريين يجنحون إلى الأصالة والإبداع والتطرف ؛ والزمن بين هؤلاء وأولئك متقارب ، والعوامل المؤثرة فيهم لا تكاد تختلف . وليس بسبيلنا اليوم أن نحلل العوامل في كل تطور في كل بلد ، ولا أن نعين الرجال في كل مدرسة في كل طور ، ولا أن نورد الأمثلة من أدب كل رجل في كل فن . إنما سبيلنا أن نقول إن الجميل كان من خير من يمثلون اللبنانية في طور الاعتدال ، وإن الجارم كان من خير من يمثلون المصرية في مثل تلك الحال .

* * *

سيداتي وسادتي : ولد أنطون الجميل في بيروت سنة ١٨٨٧ ، وبيروت حينئذ كانت ملاذ العلماء والأدباء من لبنان وسورية ، ومنتجع المبشرين والمستشرقين من فرنسا وأمريكا ، وكانت النهضة الأدبية في عاصمة الجبل قد أثمرت بواكيرها ودنا جناها ، فنال الفتى أنطون ما تيسر له منه في الكلية اليسوعية . والمارونيون كانوا يفضلون التعليم الفرنسي لصلتهم الدينية القديمة باليسوعيين ، وعلاقتهم السياسية الجديدة بفرنسا . وحذق أنطون على الأخص اللغتين العربية والفرنسية . والنبوغ فيهما كان فاشياً في شباب لبنان ، لأن تعليمهما كان جارياً على الأسلوب اللاتيني في تأليف الكتاب وإعداد المعلم واختيار الطريقة ؛ فالكتاب متعمق في القواعد متنوع في التطبيق ، والمعلم متضلع من العلم متفص في التحقيق ، والطريقة قائمة على الحفظ معتمدة على التمرين . ذلك إلى أن الغالب على التعليم الفرنسي الأدب ، والغالب على التعليم الأمريكي العلم . واللبنانيون كانوا يومئذ يتهيأون للعمل الحر في خارج لبنان ؛ لأن النصارى في سورية كانوا كالشيعة في العراق لم يكن لهم في حكومة الترك مكان . والعمل الحر كان في التعليم ، أو في الصحافة ، أو في الترجمة ، أو في التمثيل ، أو في التجارة ، وكلها أعمال تقتضي التبرز في اللغات والتبسط في الآداب . لذلك لم يكد الجميل يتخرج في الكلية اليسوعية حتى عين معلماً في مدرسة القديس يوسف ، ولكن ميله إلى الكتابة واستعداده للتحرير ، ساعدا على اختياره محرراً لجريدة (البشير) سنة ١٩٠٨ ، وقد كان يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، ويجملون إدارتها لأب من صالحي الآباء ، وتحريرها لأديب من نوابغ الأدباء . ثم دعاه إلى الهجرة ما دعا أحرار لبنان من ضيق العيش وسمة الأمل وفساد الحكم ، فهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٩ وحرر في صحيفة الأهرام الفرنسية . ثم أعلنت وزارة المالية المصرية سنة ١٩١٠ عن حاجتها إلى مترجم ، فتقدم إلى المسابقة في هذه الوظيفة ففاز بها . ولكنه لم يقطع صلته بالصحافة فأصدر في تلك السنة نفسها مجلة الزهور أدبية شهرية . واتصلت منذ يومئذ أسبابه بالحكومة ورجال الحكم . وكان الجميل على طبيعة قومه عمولاً لا يدخر جهداً ولا يضيع فرصة ولا يستوطىء راحة ، فبان شأوه على أقرانه ، ودل فضله على كفايته ، فترقى في المناصب حتى عين سكرتيراً للجنة المالية .

ثم اعتزل العمل الحكومي ليتولى رياسة تحرير الأهرام ، فسطع مجده ، وضخم أمره ، وانبسط نفوذه ، واضطرب في مجال الحياة المصرية السياسية والاجتماعية والأدبية اضطراباً عجيباً ، ينبه ويوجه ويوفق ويشارك . عمل في مجلس الشيوخ ، وفي مجمع فؤاد ، وفي جمعيات البر ، وفي جماعات الأدب ، وفي شعب الثقافة ، وفي لجان الاقتصاد ، فلم تكن عضويته فيها جميعاً مظهراً من مظاهر الفخر ، ولا مورداً من موارد المنفعة ، وإنما كانت هماً من هموم الجد يستفرغ الوسع فيه ، ويتوخى النجاح له ، ويدفع العوائق عنه . وكان الرجل على حظ عظيم من الخلق الكريم والطبع المهذب والحلم الراجح ، فساعدته هذه المزايا على أن يكون له في المجتمع هذه المكانة وفي العمل هذا البروز . كان أديب النفس واللسان والقلم ، فلم تكن

لنفسه جلافة تنفر، ولا للسانه بادرة تُخشى، ولا لقلمه سن يخز. وكان مرهف القلب والعقل والذوق، فكان يشعر بقوة، ويفهم بزكانة، ويذوق بلذة. وكان دقيق العمل والوقت والأسلوب، فلا يقدِّر بالقياس الجزاف، ولا يوقت بالزمن المبهم، ولا يُعبر باللفظ المقارب؛ إنما كان يتبين الغرض ثم يرميه بالذهن النافذ واللفظ المحكم فلا يُخطئه. ولعل كلماته السياسية في الأهرام كانت على وجازتها أدل كلامه على خلقه وأدبه. كان يعالج مشكلات السياسة والحكم بأسلوب فيه صراحة الجبليين وكياسة اليسوعيين ونعومة الفرنسيين، فيكشف عن الخبأ من غير فضيحة، ويدل على الفساد من غير اتهام، ويُوجه إلى السداد من غير استطالة. وهذا الأسلوب وما كان يقويه من صدق النظر وصحة الحكم جعله وهو في مكتب الأهرام وندوته عضو شرف في كل حزب، ووزير دولة في كل حكومة.

أما أسلوبه الأدبي في الكتابة والخطابة فكان شعرياً في صوره وأخيلته وألفاظه. كان يغلب عليه سلامة التركيب ووضوح المعنى وحسن الترسل، ويكثر فيه تضمين الأبيات واقتباس الحكم وإيراد النوادر. وقد شغلته الجهود الصحفية والاجتماعية عن الفراغ للأدب المحض فما كان يكتبه إلا مدفوعاً إليه بإلحاح الطلب وإكراه الحاجة، كأن يكتب مقدمة لديوان صديق، أو بحثاً في أدب شاعر، أو محاضرة في دار نقابة، أو خطبة في مجلس الشيوخ. ولقد كان له وهو في عهد الاستشراف والطموح إنتاج أدبي متصل، وعته جريدة البشير الدينية ومجلة الزهور الأدبية. ومن آثاره في ذلك الحين روايتاه: (أبطال الحرية) وموضوعها الانقلاب العثماني، وبطلاها القائدان التركيان نيازي وأنور. و (السموأل أو وفاء العرب) وموضوعها وبطلها معروفان. وهاتان المسرحيتان لا تمتازان ببراعة الحوار ولا بقوة البناء، وإنما تمتازان بفصاحة اللفظ وبلاغة الأداء.

وإذا كان لي أن أضيف إلى ما قلت كلمة في وفائه لمصر وحبه للمصريين فحسبي أن أقول إني لم أر في الأدباء الذين توطنوا هذا البلد كاتباً قبل الجميل، ولا شاعراً قبل مطران، نالا الرضى المصري بكل معانيه ومن جميع نواحيه، بإخلاص العمل لهذا الوطن، وإصفاء المودّة لأهله، واعتقاد العرفان لجيله.

هذه — أيها السادة — بعض مزايا الرجل الذي كُتب عليَّ أن أودعه بلسانكم في رحلته الأبدية عن هذا المجمع. وإني لأشعر وأنا أجلس في مكانه الخالي أن كرسيه ينكرني كما ينكر الفرس الجواد الراكب الغر. ولقد حدثتني نفسي — شهد الله — حين تأدى إليَّ خبر انتخابي لعضوية المجمع أن أستعفيه من هذا التشريف، لا زهادة في الشرف، ولا رغبة عن العمل، ولا فراراً من الواجب، ولكن لعلة نفسية مزمنة كان من أخف أعراضها أني أحسن العمل منفرداً أكثر مما أحسنه مجتمعاً. وربما جعلتني — لعنها الله — أعلم الشيء ولا أقوله، وأسمع الخطأ ولا أصوبه، وأرى المنكر ولا أغيره. وتلك كانت حالي معها وظل الشباب وارف، ووعود الأمل ريّان، وقوة النفس عارمة؛ فكيف تكون حالي معها اليوم وقد بلغتُ المدى الذي بعده القصور، والأملُ الذي بعده الذكرى، والساحل الذي بعده القفر؟

ولكنني استخرت الله وألقيت بجهدي الضعيف بين جهودكم القوية. والرماد يحمَى إذا مسه من الجمر وهيج، والجبان يشجع إذا لم يكن من العراك بُد.

أسأل الله أن يهدينا الطريق إلى خير العربية والعروبة، ويرزقنا التوفيق في خدمة الإسلام والشرق، في رعاية صاحب الجلالة الملك فاروق الأول أعز الله نصره، وجمّل بالآداب والعلوم والفنون عصره.

أحمد حسن الزيات

صور من الحياة :

زوج يضـل !

للأستاذ كامل محمود حبيب

أتذكر – يا صاحبي – يوم أن نلت شهادة الدراسة الثانوية وأنت – إذ ذاك – فتى ربق في العشرين من عمرك ، سمهري القوام قوي التكوين صلب العود مشرق الوجه بهي الطلعة ، تبسم للمستقبل في ثقة وتتنسم ريح الحياة في استبشار؛ يوم أن جئت تزف البشرى لأبيك الشيخ فتلقاك في سرور وربّت على كتفك في فرحة ، ثم حت تدل على رفاقك بالفوز وهو عظيم وتزهو بالتفوق وهو مبين . وسألك أبوك عن هدفك الذي تصبو إليه فقلت له « أريد أن أدرس الطب » فأطرق في صمت وقد علت وجهه فترة ، وإن الأفكار لتصطرع في ذهنه ، وإن الخواطر لتضطرم في رأسه ، فما له طاقة بما تتطلبه دراسة الطب من جهد ومال ، وهو يحس لذع العوز والضيق ، وأراد أن يصرفك عن بغيتك في لين فأصررت ، وانطلق ينشر على عينيك بعض ما يعاني من فاقة ومتربة ، فما وعى عقلك النغض مما قاله شيئاً لأنك شاب لم تصقلك تجارب الحياة ، ولا عركتك دوافع العيش ، فأصررت . وراح هو يدير الرأي في رأسه علّه يجد منفذاً أو يهتدي إلى حيلة .

ومضت أيام والشيخ يضطرب في لجة من الهم ، فهو لا يستطيع أن يلقي السّلَم إلى نزعاتك ، فيدفع بنفسه إلى هوّة من الدّين والإملاق ، وما هو بمستطيع أن يحول بينك وبين أمنيتك ، فتستشعر الضعة والصغار بين أترابك .

وعلى حين فجاة انبسطت أساريره وانزاحت عنه غمة الأسى، فجلس يحدثك « أحقاً يا بني أنك تطمع في أن تدرس الطب ؟ » قلت « نعم ، يا أبي ، ولا أبتغي به بديلاً » قال « إذن تتزوّج من ابنة خالك وهي فتاة يتيمة ، تجمعكما وشائج القربى وصلات النسب وهي ذات مال يشد عضدك ويمهد لك السبيل إلى غايتك » . وأزعجتك الفكرة ، بادي الرأي . فما كان لك أن تفرغ للزوجة والولد وهما مشغلة ، وأنت تهيئ نفسك لجهاد عنيف بعيد المدى مجهول العاقبة . ولكنك ما تلبثت أن أسلست لأنه تراءى لك أن الرفض حماقة تجذ حبل المستقبل ، وهو طيش يطفئ شعلة الأمل الوضاء . أسلست لتكون زوجاً ورب أسرة وأنت ما تبرح طالباً في العشرين من عمرك .

وقال لك أبوك وقد تهيأتما معاً – أنت وزوجك – للسفر « يا بني ، هذه زوجتك تذر دارها لترعى شأنك وإن الدار لتشرق بالنعمة والخفض ، وتنأى عن أهلها لتأنس إلى حماك وإن قلوب ذوي قرابتها لتفهق بالحنان والعطف ، وتفزع إلى رجولتك وإن حواليها ألف رجل ورجل يفتدونها بالروح والمال ، وتنزل لك عن مالها وهو غمر لتهدأ جأشتك وتسمو إلى طلبتك ؛ فكن إلى جانبها رجلاً . والرجل إن ضاق بالمرأة زوجة لم يضق بها رفيقة ، وإن ضجر بها صاحبة لم يفزع عنها ربة دار وأماً . وإن الشهامة في الرجل لتجمله – دائماً – يحس في المرأة العجز والضعف ، وتدفعه – أبداً – إلى أن يجد اللذة والسعادة في أن يحمي ضعفها ويناضل عن عجزها . وهذه الفتاة – زوجك – منك بالمكان الذي تعرف فكن لها عائلاً وأخاً وصاحباً ؛ واستشعر – دائماً – إلى جانبها الرجولة والشهامة والإنسانية »

ودوّت كلمات أبيك الشيخ في مسمعيك فانتفض لها قلبك لأنك لمحت فيها نور السماء يتألق على لسان ملَك .

وجاءت الزوجة الريفية لتعيش هنا في – في القاهرة – سجينة في دارك لا تجد السبيل إلى متعة المدينة ولا إلى نور المدنية وأنت طالب لا تملك فراغاً من الوقت ولا فضلة من المال . وراضت الزوجة نفسها على الصبر فهي تقضي صدر النهار في غمرة من حاجات الدار : تعد لك الطعام وتهيء اللباس وتوطيء الفراش ؛ ثم هي تدعك – صدر الليل – تفرغ إلى درسك تنتظر أوبة قلبك وفراغ عقلك . وأنى لها ما تريد وأنت تسمى إلى محاية وتهدف إلى غرض ، والطريق وعر والمرتقى صعب .

وعاشت الفتاة إلى جانبك سبعاً شداداً لا تجد السلوة إلا في صلاتها وإنها لمن بيت دين وصلاح فراحت تطوي ساعات الليل في تهجد على غير علم وصلاة على غير أساس وتلاوة في جهل ، واندفعت في الطريق في غير رفق فأصابها لوثة دينية صرفتها عن أن تكون أنثى تبهر عين الرجل بزخرف من القول وبهرج من اللباس وزينة من الطلاء

وشملتها موجة عارمة من الفرح يوم أن تخرجت في كلية الطب فأقبلت إليك وإن إهابها ليكاد ينقد من شدة الطرب ... أقبلت تهنئك بالفوز المبين . ودوّت كلمات أبيك الشيخ في مسمعيك فانتفض قلبك وتيقظت مشاعرك فأقبلت أنت أيضاً تهنئها بنجاحك وبين يديك أولادك الصغار .

وانطوت السنون تدفعك إلى ذروة المجد وترفعك إلى قمة الثراء فما حدثتك نفسك مرة واحدة أن تطب لمرض زوجك ، وهو عته دبني ، وأنت مَنْ بذرت غراسه في نفسها حين أرهقتها الوحدة وأمضتها الخلوة ؛ وأنت في شغل لا تعبأ بما يعتريها من ضيق وملل ولا تلقي بالاً إلى ما يجتاحها من ثورات نفسية ، فانطلقت — وأنت طبيب — تقضي سحابة النهار في المستشفى ، وتطوي هزيعاً من الليل في العيادة يخلبك بهرج المال ويجذبك لألاء الغنى . والطبيب ساحر يعصر دماء المرضى فتتدفق في جيبه سيلاً من الذهب .

ثم حالت حالك ؛ فأنت لا تدخل الدار إلا ثائراً تضطرم ، ولا تحدث أهلك إلا غاضباً تحتدم ، تفزع عن زوجك في غير رحمة ، وتهر في أبنائك في غير شفقة . وتفتحت عيناك على أشياء كنت — من قبل — في عمى عنها ؛ فأنت لا ترى في الدار إلا القاذورات تتناثر هنا وهنالك فتبعث فيك الاشمئزاز ، وإلا الرائحة النتن تفوح من نواحيها فتتقزز لها نفسك ، وإلا الشعث يملأ أرجاءها فينفث فيك الثورة والاضطراب ، ثم لا تسد أنت الثغرة في رفق ولا ترأب الصدع في لين .

ليت شعري ، ما ذا دهاك فطمّ على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوي في مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان ملك !

لقد عشت زماناً ترى في عيادتك القد الأهيف والكشح المضمر والثوب المفهاف، وتحس الابتسامة الرقراقة والخد الأسيل والشعر السبط ، وتتنشق شذى العطر الجذاب ؛ على حين لا ترى في دارك سوى زوجة بلهاء في ثوبها الأبيض الفضفاض تنتحي ناحية من حجرة وتنطوي على أورادها تتلوها في حركة رتيبة يملها القلب وتضيق بها النفس .

وراح عقلك الكبير يقارن بين الفتاة التي ترى في الشارع وفي العيادة وبين زوجك الريفية الجاهلة ، فسيطر عليك الأسى واستولى النفور على قلبك ، ونسيت يوم أن كنت فتى في العشرين من عمرك ... ، فما استطعت أن تكبح نوازع نفسك فجلست إلى صديق لك تبثه لواعج الفؤاد ولوعة النفس فقال لك « لا بأس عليك ! إن في الأرض مراغماً كثيراً وسعة » فقلت له « وماذا تمني ؟ » قال « تتزوج من ابنة فلان باشا ، وهي فتاة في روعة الجمال وأبهة العظمة وسمو الجاه ومنتهى الثراء ، تتوثب شباباً وظرفاً وتتألق أناقة ورقة ، فيها ثقافة الشرق وتربية الغرب، تتحدث في طلاقة وتأسر في لباقة » قلت في دهشة « وابنة خالي، ابنة خالي ؟ » قال الرجل « ابنة خالك ؟ تذرها في بيتها بين بنيها وأورادها ... إنها لن تجد فقدك فهي في شغل عنك وإن لك من ثرائك ما يكفل لها عيشة راضية وحياة طيبة » قلت « ولكنها هي ... هي ربة نعمتي ! » قال « هذا حديث لفته السنون في ملاءة النسيان ! » قلت « وأنا ؟ ... لقد قاربت الأربعين » قال « هذا وهم باطل فأنت ما تزال في ربيع العمر تفور نضارة وشباباً » .

لشد ما أفزعتك الخاطرة — بادىء ذي بدء — فقضيت ليلتك تتقلب في فراشك تدير الرأي علك تهتدي . والشيطان إلى جانبك يزين لك الأمر ويبتزك عن زوجك وأولادك الأربعة . وقالت لك نفسك « هناك في كنف ابنة الباشا تجد السعادة والرفاهية والثراء والجاه جميعاً » .

وانطوت الأيام والشيطان يوسوس لك وصاحبك من ورائه يزخرف القول وينمق الحديث . وعلى حين غفلة ارتفعت صيحات الشيطان في قلبك فطمت على رجولتك فما عدت تسمع كلمات أبيك الشيخ تدوي في مسمعيك وإن فيها نور السماء يتألق على لسان ملك .

وفي ذات ليلة ، انطلقت برفقة صاحبك إلى دار الباشا لتصبح زوج اثنتين ، ولتطعن قلب المرأة التي ضحت في سبيلك بما لها وشبابها لتكون أنت طبيباً عظيماً تستطيع أن تتزوج من ابنة الباشا ، لتطعن قلبها طعنة قاسية تعصف بهدوئها وتهدم سعادتها .

آه ، يا صاحبي ، لو رأيت عبرات بنيك وهي تنهمر مدراراً ليلة عرسك . لقد كانت تتساقط على قلبي — قلبي أنا الإنسان — قطرات من نار تتلهب لظى وشواظاً . أما أنت فقد فقدت — حينذاك — رجولتك وإنسانيتك في وقت معاً .

يا صاحبي ، إن الزوجة تلقي بنفسها في رعاية الرجل لتتشبث منه بخيوط ثلاثة : الرجولة والشهامة والإنسانية .

كامل محمود حبيب

صحائف مطوية في السياسة العربية :

هاشم الأتاسي

في سنة ١٩٣٩ وفي عام ١٩٤٣

للأستاذ أحمد رمزي بك

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

لقد رأيت في العدد الماضي وطنية هاشم الأتاسي تتجلى أمام الفرنسيين حينما اعتزل الحكم بإرادته ، وقد أعجبت بهذا الموقف وقلت إنه يندر أن نجد الكثيرين من أمثاله في القرن العشرين وسط المشتغلين بالمسائل العامة في هذا الشرق ، وسأقص عليك في هذه الكلمة شيئاً من تردد السلطات الفرنسية ، وما ذا كان جزاء وطنيته وإخلاصه من بعض أولئك الذين فرض من المبدأ أن يكونوا من معاونيه وأنصاره ، فإذا هم الذين عناهم أبو الطيب بقوله:

كدعواك كل يدعي صحة العقل
ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

ولقد أشرت في الكلمة السابقة إلى مذكرات رجال السياسة والحكم التي نشرت بمختلف اللغات ، وكيف يحتاج البها مثلي للوصول إلى ضبط الكثير من الحقائق ، ومن قبيل هذه المذكرات أو أهمها مذكرات الجنرال كاترو ، فقد أبلغني صديق كريم أن الجنرال بدأ بنشرها في جريدة الفيجارو الفرنسية ، وكان بودي أن أطلع عليها قبل كتابة هذه الكلمة ، فلم أستطع الحصول عليها كاملة بمصر ، وعليه قدّر عليّ أن أنتظر حتى يتم طبعها كاملة كما قيل لي ، فأبدي رأيي فيها كقارئ ، أو كرجل لمس عن قرب شيئاً من الحوادث التي تناولها هذه المذكرات .

ولقد أشرت إلى تعدد مقابلاتي مع الجنرال طول شهر مارس ١٩٤٣ وكان أغلبها في دمشق التي كان يفضل الإقامة فيها ، بل وصرح مراراً أنه يعمل على نقل المفوضية العليا الفرنسية من بيروت إليها ، واعتقد أنه لولا ما صادف كاترو من اعتراضات معينة من بعض الفرنسيين الذين يعملون معه ، ولولا تأثير الوسط البيروتي لنجح في قصده هذا مدة وجوده بسوريا ولبنان على الأقل .

واذ كر في إحدى هذه المرات التي قابلته فيها بمدينة دمشق وكان قد دعاني إلى قصر المفوضية بالمهاجرين ، فتعمد أن يضع على المدخل مفرزة من حرس الفرقة الجركسية لتحية ضيوفه ، على مثل ما كان يعمل الجنرال فيجان ، ولما قابلته أخذ يطوف بي في أنحاء الدار ويشرح لي محتوياتها ويشير بإعجاب إلى ما بذلته مدام كاترو في تهيئة حجراتها والحصول على الأثاث اللائق بها وكيف وفقت رغم ما يعترضها من صعاب في تنسيق الدار وجعلها صالحة لإقامة مندوب فرنسا الأعلى وقائد جيوشها .

والحقيقة أن الدار ظهر عليها في ردهاتها ومقاعدها وأركانها هذا الذوق الشامل الذي تفرغه يد السيدة إذا تولت بعنايتها تهيئة الدور الرسمية فتجعل منها بيوتاً تصلح للاستقبال .

لقد كان الجنرال مرحاً في كلامه مع المدعوين ، ولما آن موعد انصرافهم أراد أن يتحدث حديثاً خاصاً معي فاستبقاني لديه على انفراد ، والجنرال محدث لبق بدأ حديثه عن القاهرة وعن منزل في لبنان لشخص معين يسكن بيروت ويريد أن يؤجره للجنرال ومع ذلك يزج بأسماء معينة في مصر وضحك كثيراً من أساليب بعض الناس في حياتهم الخاصة والعامة ، والحقيقة أن ابتداء الحديث السياسي عن صفقة فيها منزل للايجار يحمل في ثناياها نكتة من أبداع النكت ، وفي كلامه عن خلق هذا الوجيه الثري ما يحمل السامع يتجه اتجاهاً معيناً نحو حكمه على كثير من الأمور ، ولولا أن منافسة الجنرال من كبار القوم في بلادنا لما بدا أن لهذا الحديث موضعاً ، ولكن الجمع بين هذا ووضعه في الإطار الذي فتح الجنرال حديثه به يجعلني في حل أن أقول : أن الجنرال أعطى صورة وافية لما كان يدور في تلك الأيام وأراد بظرف ولباقة أن يعرفني بالإشارة كما يقولون ما لم يرد أن يصرح به . ولكنه حينما تحدث عن هاشم بك الأتاسي : أشاد بوطنيته وإخلاصه لبلاده وقال : « أنه على رأيه دائماً في أن قيام الدولة السورية وعلى رأسها هاشم بك أمر يرحب به ويكون من فخره إذا تم » .

إننا معاشر الشرقيين تبدو لنا بعض الأمور وكأنها لا تستحق عنايتنا واهتمامنا : كما تبدو لنا أمور أخرى ذات أهمية خاصة مع أنها قد لا تترك أثراً لدى الغير ، من قبيل هذا اعتزال هاشم بك للحكم فالأثر الذي يتركه في نفس الأوروبيين لا ينسى ، وقد حدثني الجنرال فقال إنه دعى هاشم بك للغداء لديه وعلم إنه نزل في فندق أوريانت بالاس ولما انتشر خبر زيارته لدمشق تهافت الناس وذهبوا لرؤيته بالفندق وتحادثوا معه وأعربوا عن آمالهم في عودته ... فهو رجل يتمتع بمنزلة خاصة لدى الشعب .

ذكر لي هذا عند كلامه عما يدور بخلده من ضرورة إبدال

الوضع الذى قام مؤقتاً فى سوريا عقب وفاة المغفور له الشيخ تاج الدين الحسنى . ولكنى لست هذا الإنصاف لهاشم بك فى صفوف الفرنسيين من أعداء الكتلة الوطنية نفسها...

وفى هذا الاجتماع الأخير لخص الجنرال ما قام به من جهود فى الفترة الأولى لشهر مارس ١٩٤٣ فقال إن دائرة أحاديثه اتسعت رويداً رويداً فشملت عدداً من السياسيين الممثلين لمختلف الأحزاب والدوائر فى سوريا وأبدى رأيه فى كل شخص وفى اتجاهات الأحزاب وتماونها وتنافسها ، وقد اطلعت بعد أيام على ما نشرته المفوضية على الصحف وقد أشارت إلى أن الجنرال يوالى استشاراته ويستمع إلى رؤساء الوزارات ورؤساء المجالس النيابية فى الأحداث والأوضاع والحلول المقبلة — وزادت على ماسمعنا رؤساء الهيئات الاقتصادية والمالية وهذا مالم يرد له ذكر فى أحاديثه .

ولم يقتصر اتصاله على دمشق بل سافر إلى حلب وحمص ودعا إليه رؤساء العشائر والمناطق البعيدة وكان طول مدة شهر مارس فى عمل مستمر واتصال دائم وكلما تعجلت السياسة البريطانية أو الأمريكية الأمور كان رد الفرنسيين أننا ندرس ونبحث ونستشير ونحقق حتى يأتى عملنا مطابقاً للمصلحة العامة ولكسب الحرب.

كتبت فى كتاب الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا ص١٧ « أن الجنرال كاترو يجمع فى شخصه بين القائد والسياسى معاً وقد برهن على أنه صاحب عزيمة ودهاء ، وفكرة ومقدرة »ص٧٧ وأزيد على هذا أنه محدث من الدرجة الأولى لا تغادر الابتسامة وجهه ، وهو يشعرك من أول مقابلة أنك موضع ثقته وأنه يحدثك بصراحة تامة وهو لن يخفى عنك شيئاً مما يجول بنفسه ولكنه فى الحقيقة إذا تكلم لا يعطيك إلا ما يريد هو إعطاءه .

وإذا عرض لشخصيات معينة أعطاك عن كل واحدة منها صورة حية لا تكرهك فى الشخص المعين ، بل يرسم لك مزاياه فتخرج وتكاد تشعر بأن جميع الناس من أصدقائه وإنه معجب بالنواحى الطيبه التى لمسها فى كل واحد منهم .

ولا أخفى على القارئ أن الجنرال كاترو ترك أثراً عميقاً فى نفوس من اتصلوا به ، فقد جاءنى رجال لم يكونوا فى يوم من الأيام من أصدقاء فرنسا ، وأبدوا لى دهشتهم لهذا التطور الذى بدا من غير تهيئة فى جانب الفرنسيين حتى صرح أحدهم بقول : أنه يكاد يصدق أن هذا الجنرال راغب كل الرغبة فى أن يرى البلاد السورية متمتعة باستقلالها .

وقد ظهر لى جلياً أن الجنرال كاترو كان من بين الفرنسيين القلائل الذين أدركوا قبل الأوان صعوبة مركز فرنسا فى سوريا ولبنان مع وجود الجيوش البريطانية فيها ، وكان هناك فريق منهم بمش سنوات ١٩٤٣ — ٤٤ — ١٩٤٥ على غرار ١٨ — ٢٠ ١٩٢١ حينما وجدوا البريطانيين قبلهم فى البلاد : وجاء كاترو فكان بين أمرين .

١ — أما التظاهر بالتعاون مع الحليفة إلى نهاية الشوط .

٢ — وأما التصادم من المبدأ معها

وقد فضل أن يجاربها فى سياستها وأساليبها مع احتفاظه بحقوق بلاده ، ولكنه لم يجد إخلاصاً ولا تماوناً ولا فهماً من معاونيه ، ولذلك لم يلازمه النجاح الذى كان من المرجح أن يلاقيه

كنا ننتظر الوصول إلى نتائج حاسمة فى النصف الأول من شهر ما حينما جاء المولد النبوى الكريم فاضطر الجنرال الفرنسى إلى قطع استشاراته لحضور الاحتفال به فى بيروت ، حيث أقيمت احتفالات رأى فيها المسلمون فرصة للاعراب عن وجودهم ، ورأت فيه فرنسا فرصة لإعلان احترامها للنبى العربى .

ثم حدث تصادم لطائرة فرنسية مات فيها الكولونيل باريل وجرح فيها الجنرال ماسيت ، وقد أقيمت جنازة عسكرية شائقة للفقيد الفرنسى وسارت فيها وحدات الجيوش الفرنسية المختلفة وقد تسلت الكثير من عتاد الحلفاء وملابسهم وأحذيتهم وألقى الجنرال كاترو قطعة رائعة فى رثاء الكولونيل القتيل كانت خير ما يمكن أن يعبر عن حداد فرنسا المقاتلة — وآمالها .

لا أدرى إذا كانت بعض المصادفات تؤثر فى اتجاهات معينة وعلى كل فانه بقدر تحمس الفرنسيين للوصول إلى هاشم بك فى تلك الفترة بقدر ماقامت المصاعب أمامه من ناحيتين : الطريقة التى سيعود بها إلى الرياسة هل تكون بناء على دعوة الجنرال وكيف تصاغ ثم الناحية الثانية : وهى ازدياد شقة الخلاف بينه وبين أنصاره.

ومرت الأيام وكان الجنرال قد ترك دمشق وعاد إلى بيروت تاركاً أمر المشاورات فى سوريا لمعاونيه : ثم عاد فى الفترة الأخيرة من مارس إليها .

وفى يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٤٣ تلقيت منه كتاباً مطولاً يعرب فيه عن أسفه لأنه لم يوفق إلى إقناع هاشم بك الأتاسى بالعودة إلى وزارة الجمهورية مرة أخرى ويبلغنى فيه ما استقر عليه الرأى فى النظام الجديد الذى سيباشر التمهيد للانتخابات .

والحقيقة إننا جميعاً دهشنا لهذا الموقف الأخير ، وقد سافرت

إلى دمشق أنصت إلى كل ما قيل فى هذا الشأن وقيدت الكثير منه : ومع أن الكثيرين يلقون السبب على الفرنسيين فإن هؤلاء يشيرون إلى أعوان هاشم بك وأنصاره ورجال السياسة السوريين ويعدونهم المسئولين عن تردده أمام أنا فاعتبرتها الفاجأة الثانية .

أحمد رمزى

الاتحاد الاســـــلامى

للدكتور السيد محمد يوسف الهندى

قد كنت ولا أزال من أشد المتحمسين لفكرة إنشاء اتحاد إسلامى عالى يضم الشعوب المتجانسة والدول المتجاورة الممتدة من الباكستان شرقاً إلى تركيا ومصر غرباً ، وربما يتسع نطاقه فيا بعد فى الناحيتين الشرقية والغربية إلى أندونيسيا والمغرب الأقصى . وأزعم بالقول بأن المسلم الهندى أفعم قلبه إيماناً وإخلاصاً لهذه الفكرة التى ازداد طموحه إليها بعد أن نجح فى خلق أداة قوية فعالة ، ألا وهى دولة الباكستان المساهمة فى إبرازها إلى حيز الوجود .

ولكن نظرة المسلم الهندى إلى العالم الإسلامى إنما كانت إلى وقت غير بعيد نظرة عاطفية خيالية هى أبعد شىء عن الحقيقة والواقع ؛ فإنه كلما حول وجهه إلى تلك الرقعة الشاسعة التى يقطنها المسلمون من العرب والعجم والترك رأى دولا قيل إنها مستقلة ، وتيجانا ربما ادعى أنها ترمز إلى مجد الإسلام الغابر ، وشعوبا مسلمة تؤلف الأغلبية الساحقة فى حدود بلادها — الصفة التى كانت تنقص المئة مليون من المسلمين فى الهند الموحدة والتى كان انعدامها مصدر جميع آلامهم وأخطارهم فى المستقبل . فلم يكن المسلم الهندى ليتصور أن يكون هناك أى مانع عند تلك الشعوب المتماسكة والدول المستقلة من الاتجاه إلى التضامن والاتحاد على أساس الدين الذى كان ولا يزال يعتقد — حسب فهمه هو — أنه ملك وسياسة قبل أن يكون صلاة ودعاء . ومما ساعده على هذا الظن — الخاطىء مع الأسف — تلك الألقاب الفخمة المشعرة بحماية الدين ونصرة الإسلام والمسلمين التى يتحلى بها بعض الأمراء والأعيان فى الأقطار المختلفة (كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد) ومظاهر أخرى مثل صدور الفتاوى من مشيخة الأزهر « إلى العالم الإسلامى كله » تلك الفتاوى التى عرفت الآن أنها لا تصدر عن شعور داخلى حر بخير « العالم الإسلامى كله » ولا عن دراسة وافية للأحوال والظروف الخاصة بالمسلمين فى الأقطار المختلفة . بل إنها ربما تستصدر لمصلحة عاجلة . ويا حبذا لو أن كبار العلماء تنازلوا عن سلطتهم المنتحلة هذه كما فعلت تركيا حينما ألغت الخلافة بعد ما رأت عجزها عن إسداء أى عون مادى أو أدبى إلى ما يسمى بالعالم الإسلامى .

كان من الطبيعى أن تتغير نظرة المسلم الهندى هذه فى الأيام الأخيرة على أثر التقارب عن طريق التمثيل الدبلوماسى وتبادل الزيارات . ولعله قد عرف أن المانع الحقيقى من التقدم نحو الاتحاد ليس عاملا خارجياً أجنبياً بل هو داخل نفوس إخوانه المسلمين الذين أصبحوا غير مستعدين لقبول هذه الفكرة . وقد اقتنعت أنا شخصياً بصدق ما صرح به الباندیت جواهر لال نهرو ، رئيس وزراء الهند ، عقب زيارته الأخيرة للقاهرة من أن أى اتجاه إلى التكتل على أساس الدين فى الشرق الأوسط أمر مستحيل ، فاستمنت باليأس على التغلب على ما غمرنى من القلق وبدأت أغتبط بواقعية رجال الحكومة الباكستانية حينما لاحظت فتوراً فى تصريحاتهم إزاء أى حلف رسمى ، وظننت أن الفكرة قد وضعت على الرف أو كما يقولون فى الثلجة إلى أن تنبث من داخل قلوب المسلمين فى جميع الأقطار الإسلامية على السواء حتى يجىء الاتحاد نتيجة لشعور عام صادق متدفق قوى .

ولكن ظهرت فى الأسابيع الأخيرة بوادر تنذر بأن يتم على أيد أجنبية خفية ما لم يكن ليتحقق بالرغبة الذاتية فأثارت فى نفسى خواطر رأيت أن أدبجها حتى يتبين كل منا حقيقة فكرة الاتحاد الإسلامى من أى صورة ممسوخة له ربما تساور بعض الأذهان فى الوقت الحاضر .

إن فكرة الاتحاد الإسلامى فكرة دينية بحت ترتكز من حيث المبدأ على الشعور بالأخوة وواجب المساهمة فى الآلام نحو كل من يشارك الآمال وأهداف الحياة . ومن الواضح أن هذا الشعور داخلى شخصى اختيارى محض ولا يحتاج وجوده إلى أية مبررات من المصالح السياسية أو الاقتصادية مع أن تلك الفوائد لا بد وأن

تنتج منه وترافقه إذا أحكم تدبير الوسائل الفنية اللازمة لها . فالاتحاد الإسلامي بطبيعته يأبى إلا أن يكون اتحاداً بين الشعوب الإسلامية بعد أن تسترد هي الإيمان بالفكرة الدينية في تنظيم حياتها الداخلية وتدعيم علاقاتها الخارجية والدولية .

فما حال الشعوب الإسلامية في الآونة الحاضرة ؟ ليس الكلام عن تركيا بصعب ؛ فإنها جريئة صريحة تحدث ما تحدث عن علم . أما الممالك العربية فتكاد تجد لها ممثلين ومراقبين في جميع المؤتمرات مهما اختلفت أنواعها وتضاربت أهدافها ، وقلما تلاقى خطة واضحة مرسومة بعيدة المدى في تصريحاتها أو تصرفاتها . وقد خيل إلى فيما يتعلق بالموضوع الذي نحن فيه أنهـا حريصة على الاحتفاظ بالشرف الذي كان لها يحق من حمل لواء الإسلام في الماضي ولكنها في الوقت نفسه تتوق وتجتهد وتتكلف ما يسمونه «مسايرة الغرب» باحتضان كل ما جد من النظريات والاتجاهات السياسية كما أن النساء المتجملات يلهجن بكل ما تبتكره باريس من الأزياء — حتى الذيول الطويلة !! — كل صيف وشتاء ؛ أو لا ترى أنها ثارت مطالبة بالاستقلال والوحدة فكان من حظها الاستعمار والفرقة . ولا ضير في ذلك فإن الأمم كالأفراد كثيراً ما تخطىء حسابها وتفشل في خطتها ولكنها سرعان ما رضيت بالفرقة وبدأت تعتز وتباهي بالفوارق الوطنية فيما بينها كالأصل الفينيقي والحضارة البابلية والمدنية الفرعونية وما إلى ذلك مما نبشه الباحثون المستشرقون لتلهيتها «عن كل مكرمة» واستمر الحال كذلك طيلة الفترة ما بين الحربين إلى أن تغيرت الأوضاع الدولية وتدهورت الأحوال رأساً على عقب ، فهتف هاتف من الغرب بضرورة الاتحاد فارتجلوا اجتماعاً بين الملوك وإجماعاً بين الحكومات على ميثاق الجامعة العربية . ومنذ ذلك الحين و «العروبة» يخفق لها قلب كل عربي . وكلمة العروبة أو القومية العربية لم تكن واضحة المعالم أبداً وهذه هي نقطة الضعف لاشك فيه ، فإن زعماء الثورة الأولين لم يعنوا حينما نطقوا بها شيئاً يعارض الوحدة الإسلامية . وليس أدل على ذلك من أن طوائف معينة معروفة باعتمادها الاستعمار الأجنبي اعترضت سبيلها ولم تزل تقاومها حتى أرغمت الأكثرية العظمى على تلطيف ، بل تغيير مدلولها تغييراً جوهرياً بحيث أصبحت تعبر عن أهواء الذين يعادون الفكرة الدينية الإسلامية لا لشيء إلا لولائهم لدينهم ؛ كفى بذلك شاهداً ما جاء في كتاب نبيه أمين فارس المسمى بـ «العرب الأحياء» والمنشورات الأخرى الحديثة عن مقومات العروبة التي لا بأس بأن يدخل فيها كل شيء من عصور ما قبل التاريخ إلى العهد الحاضر ما عدا الدين الذي يراد إبعاده عن حياة الغالبية العظمى من العرب . وأخيراً تصادف أن فقدت هؤلاء الطوائف ربيبة الاستعمار عمـادها أو القط الذي كانت هي بمثابة المخلب له وذلك في وقت نجحت فيه فكرة فصل الدين عن السياسة بين المسلمين نتيجة لضعفهم وخيبة آمالهم ، فلبست الحال الجديدة لباسها — لباس الوطنية الصادقة (ولكن مع ضمان وضع خاص فليتأمل !) — حتى جاء الاعتراف باستقلال لبنان الذي لم يرض به كثير من الوطنيين المخلصين إلى آخر لحظة ، رمزاً للتبرؤ من العون الأجنبي من جهة والفكرة الدينية من جهة أخرى . وبعد بضع سنوات أصبح هذا الوضع ، بفضل الجامعة العربية ، من المبادىء الأزلية التي ربما ينطوي الإسهاب في الكلام عنها على مجازفة خطرة .

قامت الجامعة العربية فابتهج بها المسلم الهندي كما أنه ابتهج بميثاق سعد آباد أو أي مظهر آخر للتقارب بين المسلمين حتى زواج الأميرة فوزية من جلالة شاه إيران ، وربما عبر عن ابتهاجه بما ينبىء عن اعتقاده بأن الكتلة العربية أشد ارتباطاً بالمسلمين في الأقطار الأخرى من شـقيقتها و (بترونها) الكتلة اللاتينية فتحفزت الجامعة مرات عديدة لإنقاذ سمتها كهيئة إقليمية محضة ونفت اهتمامها بالدين وأهل الدين حتى لا تفسد عليه صفقة الأصوات . وهكذا مضت الجامعة في تنسيق السياسة الخارجية للدول العربية تتوخى كسب الأصوات وتبادل «المواقف» — الذي يستلزم في بعض الأحيان التهاون في الحق — تحاول تهدئة فرنسا في دورة للأمم المتحدة ومساومة أسبانيا في دورة أخرى حتى أثبتت حوادث فلسطين أنها لم تكن خلقت لغير هذا العمل ؛ وعلى كل حال فإن الجامعة العربية ، مع أنها لم تكن تصلح من حيث تركيبها لمقاومة الاستعمار إلا إذا كان من نوع معين ، أيقظت شعوراً قوياً بين الشعوب العربية نحو التآلف والتآزر حتى أن هذا الشعور المتدفق ربما سبب متاعب للحكومات المصطنعة الغير المثلة التلكئة في الأمور ، ولكن يجب التصريح بأن هذا الشعور إنما كان مبنياً على أساس العروبة وتناسى الدين أعنى الإسلام .

(البقية في العدد القادم) السيد محمد يوسف

ركن المعتزلة :

علم الله في مذهب المعتزلة

للدكتور ألبير نصري نادر

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

إن الكلام في علم الله يختلف كل الاختلاف عن الكلام في المعرفة عند الإنسان ؛ لأن علمنا يتكون تدريجياً ونحن نصل إلى المعرفة بفضل مجهود فكري مستمر نبذله في فهم الحقائق والوقائع ؛ ونمر هكذا بمراحل أدناها مرحلة الجهل وأسماها مرحلة المعرفة ؛ ولكن كم تصادفنا من مراحل نشك فيها ونتردد وننعم التفكير ونجلي الأمور ونتخذ القرارات ثم نغيرها أحياناً ونتمسك بها أحياناً . وهذا التدرج في تكوين المعرفة برهان قاطع على عجز العقل البشري وعدم كماله .

وإذا ما تكلمنا عن علم الله فلا يجوز أن نقارنه بعلمنا ولا أن نحاول فهمه بتشبيهه بعلمنا لأنه لا توجد أدنى مشابهة بين المتناهي واللامتناهي ولا بين الكامل والناقص .

لذلك كان الجبائي(١) لا يسمى الله فهيما ولا فقيهاً ولا موقنا ولا مستبصراً ولا مستبيناً لأن الفهم والفقه هو استدراك العلم بالشيء بعد أن لم يكن الإنسان به عالما(٢) واليقين هو العلم بالشيء بعد الشك ، وكل هذا يدل على التبدل والتغير في مراتب العلم ولكن لا يوجد أي تغير في الله وهو في حالة ثبات كامل لأن علم الله هو هو أعنى هو ذاته وذاته أزلية كاملة لا تغير فيها ولا تبدل .

ولما كان الله لم يزل عالما بكل الأمور فعلمه منذ الأزل كامل شامل كل شيء حصل وسيحصل . ولكن هناك مسألة بحثها المعتزلة على النظر وجاء البحث مؤيداً لقولهم بثبات علم الله منذ الأزل ، وهذه المسألة هي :

(١) هو أبو علي بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ولد في جبي في الجوزستان ثم جاء البصرة وتتلمذ للشحام المعتزلي شيخ المعتزلة حينئذ في البصرة . ومن تلاميذ الجبائي الأشعري رأس الأشاعرة . لانظر الفهرست لابن النديم ص ٦ وكتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ

(٢) الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٥٢٦ .

هل يجوز كون ما علم الله أنه لا يكون ؟

ترد المعتزلة على هذا السؤال بالنفي طبعاً . ولكن ذلك لا يمنعهم من تحليل السؤال تحليلا دقيقاً ليبينوا استحالته . فنجد مثلا على الأسواري(١) يشطر السؤال شطرين هما أولاً : يجوز كون شيء أعني أن الله يقدر على الشيء أن يفعله ، وثانياً : الله عالم أن هذا الشيء لا يكون وإنه أخبر أنه لا يكون . ويقول الأسواري إذا أفرد أحد القولين عن الآخر كان الكلام صحيحاً ؛ أما إذا اقترن القولان كان ذلك مستحيلا . وذلك على عكس ما هو عند الإنسان ؛ لأنه ليس من المستحيل أن نلاحظ عند الإنسان فرقاً بين معرفته لعمل واجب أداؤه والامتناع عن أداء هذا العمل ؛ لأن الإنسان قادر على الضدين في حين أن الله لا يوجد فيه تغير ، وعلمه وإرادته وقدرته تعالى هي ذاته وذاته لا تتغير(٢) .

وهناك رد آخر على هذا السؤال . فتقول المعتزلة : إذا علم الله أن حدثاً أو عملا أو شيئاً لن يحدث لعجز أو استحالة في الحدث أو العمل أو الشيء نفسه (مثل تربيع الدائرة أو إرسال المؤمنين إلى النار) أو لعجز من قبل الله على حدوث هذا العمل أو الشيء إذ أن حدوثه ينافي النظام والقوانين المسنونة للعالم منه تعالى ، فإن هذا الحدث أو العمل أو الشيء لم يحدث أبداً ما دام وجد العجز أو الاستحالة(٣) .

في هذا الرد نجد اعتقادين راسخين عند المعتزلة وهما أن العالم خاضع لنظام كامل تام مطابق لعلم الله ؛ وبما أن علم الله لم يزل ثابتاً فنظام العالم ثابت أيضاً لأنه لو تصادف وأصبح هذا النظام غير مطابق لعلمه تعالى فعلمه لم يعد كاملا . وبما أن علمه هو ذاته فتصبح الذات والحالة هذه غير كاملة أيضاً وهذا تناقض .

وتزيد أكثر المعتزلة على ذلك قائلين : ما علم الله أنه لا يكون لاستحالته أو لعجز عنه يجوز أن يكون على شرطين : أن يرتفع العجز عنه وإن تحدث القوة عليه . ولكن في هذه الحالة كان الله لم يزل يعلم برفع العجز عن هذا الشيء وبحدوث القوة عليه .

(١) من أصل فارسي تتلمذ لأبي الهذيل العلاف والنظام . توفي حوالي سنة ٢٠٠ هـ

(٢) الشهرستاني : الملل على هامش ابن حزم ج ١ ص ٦٦ . الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٥٥٩ و ٥٦٠ .

(٣) الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ٥٦٢ .

وهذا لا يناقض كماله تعالى .

فنلاحظ أنه مهما اختلف وضع المسألة فالحل واحد وهو أن المتزلة تردد دائماً أن الله لم يزل عالما بالأشياء كلها ولا يجوز حدوث شيء إلا وهو لم يزل يعلمه .

***

لما كان الله لم يزل يعلم كل شيء فكيف يمكن أن نتكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان لأعماله ؟ أهو حر فعلا أم مجبر ؟ إنها لمسألة فى غاية الدقة والأهمية وهاك رأى المتزلة فيها .

علم الله ومصير الإنسان فى الآخرة :

يحدثنا ابن حزم عن رأى لهشام القوطى المتزلى تشاركه فيه جميع المتزلة لأنه يعبر عن أصل من أصولها فى علم الله . يقول هشام : إن من هو الآن مؤمن عابد ولكن فى علم الله إنه يموت كافراً فإنه الآن عند الله كافر . وإن من كان الآن كافراً مجوسياً أو نصرانياً أو دهريا أو زنديقاً ولكن فى علم الله أنه يموت مؤمناً فإنه الآن عند الله مؤمن[1] . فلا غرابة فى هذا القول إذ أن علم الله لا يتغير ؛ فإذا علم الله منذ الأزل أن فلانا سيموت كافراً ولو آمن وقتاً من الزمن فإنه عند الله كافر ؛ لأنه تعالى لم يزل يعلم أن بعد إيمان هذا الشخص كفراً . ولا يجوز أن يزيد كفر المؤمن شيئاً فى علم الله — هل يعنى ذلك أن لا قدرة للانسان على أعماله لأن الله لم يزل يعلمها ؟ نحن نعرف أن المتزلة « أهل عدل » أيضاً أعنى أنهم يقولون إن الإنسان قادر على أعماله محاسب عليها — فكيف يكون التوفيق بين القولين إن الله لم يزل يعلم كل شيء ، وإن الإنسان قادر على أعماله ؟

هناك حل دقيق أتى به الجبائى ليوفق بين هذين القولين .

فيقول : لنفحص الحالات الثلاث الآتية :

أولاً : يقول الجبائى إذا وصل مقدور بمقدور كانت النتيجة إيجابية صحيحة ؛ مثلا لو قلنا إذا آمن الكافر (شرط أول) وكان الإيمان خيراً له (شرط ثان) لأدخله الله الجنة (النتيجة الصحيحة لهذين الشرطين) والمقدوران هما : العودة إلى الإيمان بعد الكفر — الإنسان فى إمكانه أن يعود إلى الإيمان — وإذا لم نخير الله

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤ س ١٤٩ .

عما يناقض ذلك فتكون هذه الحالة الأولى صحيحة .

عند تحليل هذه الحالة نجد المتزلة تعترف بقدرة الإنسان على الكفر وعلى الإيمان وذلك بمجرد اختياره ؛ ثم إن الله لم يزل يعلم هذا الاختيار . إننا هنا بدون شك بصدد نقطة صعبة وهى شعورنا بمقدورنا على اختيار شيء أو حال دون الآخر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى علم الله منذ الأزل بما نختاره .

وإذا تمسكت المتزلة بالقول بقدرة الإنسان على أعماله كان تمسكها هذا صوناً لعدالة الله وإلقاء المسئولية على الإنسان وحده عند ما يعاقب أو يثاب . ففى هذه الحالة الأولى التى يعرضها الجبائى برهان كاف على حرية الاختيار عند الإنسان على شرط أن يأتى اختياره على شيء ممكن جائز مقدور .

الحالة الثانية : إذا كان هناك شيئان متناقضان يمكن التكلم عن حرية الاختيار عند الإنسان واستحالت النتيجة — مثل قولنا أن يكون المرء مؤمناً وكافراً أو متحركا وساكناً أو حياً أو ميتاً فى آن واحد . إن الإنسان لا يقدر على ذلك وحريته مقيدة أمام التناقض . فالحرية لا تعنى إذن القدرة على عمل أى شيء أو ضده — وبما أن الله لم يزل يعلم مجرى الأمور حسب قوانينها فهو يعلم عجز الإنسان أمام التناقض كما أنه تعالى لم يزل يعلم قوانين العالم فكل ما يحدث فيه كان هو لم يزل عالما به .

وفى الحالة الثالثة : يقول الجبائى إذا وصل شيئان أحدهما جائز والآخر مستحيل فتكون النتيجة مستحيلة ؛ مثلا إذا قلنا إن الكافر يؤمن فى حين أن الله يعلم ويخبر أنه لن يؤمن فمن المستحيل أن يؤمن هذا الكافر فتكون إذن حرية المرء مقيدة بعلم الله وإخباره . ولكنها حالات شاذة تلك التى يخبرنا الله فيها عن علمه[1] .

أثر منطق أرسطو :

إن تحليل الجبائى لمسألة علم الله ومصير الإنسان هو تحليل منطقى لا شك أن لمنطق أرسطو أثراً كبيراً فيه . فمقابلته القضايا الإيجابية أولا والقضايا السالبة ثانيا واستنتاجه النتائج الإيجابية أو السالبة كل ذلك يدل على أن الجبائى كان ملماً[2] بهذا المنطق

(١) أنظر الأشعرى : مقالات الاسلاميين س ٥٦٠ .

(٢) تلمذ الجبائى للسخام الذى ألم بالفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة التى قام بها حنين بن اسحق فى بيت الحكمة (أنظر ابن المرتضى المنية والأمل س ٤٠ والملطى كتاب التنبيه س ٣٢) .

مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر

للأستاذ كمال السيد درويش

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

— ٣ —

هل تقع مسئولية الاحتلال البريطانى على الإنجليز وجشعهم الاستعمارى ؟

ولم لا ؟

ألم يتعللوا للبقاء فى مصر بشتى المعاذير حتى واتتهم الظروف فكشفوا عن نيتهم الصريحة فى الاحتلال بإعلان الحماية على مصر سنة ١٩١٤ م

ألا يدل على ذلك قصة تلك الوعود الرسمية التى قطعها باسم إنجلترا ممثلوها الرسميون « إن رغبة حكومة جلالة الملكة هى أن تترك المصريين وشأنهم بعد أن تخلص مصر من الطغيان العسكرى »[1] قيل هذا سنة ١٨٨٢ م . وهذا تصريح آخر : « إن الشك الذى يخامر الرأى العام سببه رغبة بعضهم فى احتلال مصر احتلالاً مؤبداً وإدماجها فى هذه الأمبراطورية . وتلك غاية نحن مصممون على مدافعتها وعلى ألا نسعى إليها بحال من الأحوال »[2] بل لقد ذهبت إنجلترا إلى أبعد من ذلك فحددت تاريخاً معيناً للجلاء . وأى والله حدث هذا « إن حكومة جلالة الملكة تريد أن يكون سحب الجنود فى أول عام ١٨٨٨ م »[3]

لقد أورد المستر بلنت فى مقدمة كتاب (تاريخ المسألة المصرية) قصة هذه الوعود الرسمية ثم علق عليها بقوله « حقاً إنه ليس فى تاريخ جميع إجراءات إنجلترا الاستعمارية عهود كهذه بذلت ثم نقضت » .

إن قصة ضرب الاسكندرية لا تحمل فى طواياها إلا حجة الذئب حين أراد التهام الحمل . لقد كانت نية الاعتداء المتعمد واضحة منذ البداية . وإلا فلماذا أتى الأسطول إلى ميناء الإسكندرية وبأى حق يقف فى المياه المصرية ؟ وكيف يجرؤ فيتدخل فيما ليس من حقه التدخل فيه حين يطالب بوقف أعمال الترميمات فى الحصون والطوابى ويتخذ بذلك تلك الحجة الواهية لتبرير ذلك الاعتداء الوحشى .

لقد أجمع من كتب فى حوادث ذلك الاحتلال من المعاصرين أو ممن جاءوا فى أعقابه على أن نية الاحتلال كانت مبيتة لدى إنجلترا قبل ضرب الاسكندرية بكثير . وقد شاهد المستر بلنت بنفسه الاستعدادات الحربية تجرى فى إنجلترا منذ شهر يونية سنة ١٨٨٢ م .

إن إلقاء التبعة على إنجلترا مما لا يختلف فيه اثنان وهو ما حققته الحوادث فيما بعد .

ولكن مهلاً أيها القارىء العزيز فإن احتلال مصر جريمة أكبر من أن تقترفها يد واحدة كيد عرابى أو كيد الدولة العثمانية أو الخديو أو حتى يد إنجلترا نفسها .

حقاً لقد أخطأ عرابى ؛ ولكن ، من ذا الذى لا يخطىء ؟ وهل يكون خطأ عرابى سبباً فى إلقاء تبعة الاحتلال بأسره عليه

(١ ، ٢ ، ٣) تاريخ المسألة المصرية — تيودور تشتيد — مقدمة مستر بلنت .

وحاول أن يستخدمه فى مسألة من أدق المسائل وأعقدها . إنها لمحاولة جريئة وهى ليست الوحيدة من نوعها فى فلسفة المعتزلة .

***

من هذا نستخلص أن جل هم المعتزلة هو رد الصفات ومن ضمنها صفة العلم إلى ذات الله تعالى . وبما أن هذه الذات قديمة لا متناهية ثابتة فيكون العلم أيضاً قديماً لا متناهياً ثابتا . ثم إن الله لم يزل يعلم كل الأمور وإذا كان العالم قديماً بالنسبة إلى علمه تعالى فإنه يتحقق فى الزمان تبعاً لهذا العلم — أما فيما يختص بمسألة قدرة الإنسان على أعماله فالمعتزلة تحلها بقولها إننا نشعر بحرية الاختيار وإننا نجهل علم الله وإن عدل الله يضطرنا إلى القول بهذه الحرية — وكل المسألة الأخلاقية متوقفة عليها .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

وفى تصويره بتلك الصورة التى لا تليق بهذا الزعيم الوطنى المصرى الصميم ؟ لقد أحس الأستاذ محمود الخفيف أن عرابى مظلوم وأن أعداءه بالغوا فى الكيد له والزراية عليه حتى قال : « والحق أنه قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً ضاعت حسناته فى سيئاته كما ضاعت حسنات عرابى فيما افترى عليه من سيئات . كذلك قلّ أن نجد فى رجالنا رجلاً كرهه أكثر بنى قومه مضللين ، واستنكروا أعماله جاهلين بقدر ما كره هؤلاء عرابياً »[1] .

ونحن نميل إلى هذا الرأى الأخير لا بدافع التعصب أو الرغبة فى إنصاف عرابى ولكن بدافع الرغبة فى إنصاف الحقيقة والتاريخ وكلاهما كما تبين لى يد... نان عرابى . وسأسوق من الأدلة التاريخية ما يقف إلى جانب ما كتبه صاحب كتاب « أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه » عسى أن تتغير نظرة المصريين إلى زعيم المصريين .

ولكن ، ما هى تلك الحقائق التاريخية ؟

الواقع الذى كشف عنه البحث العلمى الحديث أن احتلال مصر كان شيئاً مقرراً ومرسوماً قد اتفقت عليه الدول الأوربية من قبل . لقد تمت حوادث الاحتلال خلال صيف سنة ١٨٨٢ م ولكن .. ولكن الاتفاق على فكرة الاحتلال نفسها كان قد سبق ذلك بكثير .

لقد كانت الوحدة الألمانية وكان ظهور بسمرك داهل ألمانيا العظيم وأكبر سياسى سيطرت شخصيته على مجرى الحوادث الأوربية فى ذلك الحين . وكانت الحرب السبعينية (١٨٧٠) م فانتصر فون ملتكه ودخل الألمان باريس وخرت فرنسا جاثية على ركبتيها أمام جبروت بسمرك والألمان . ولكن بسمرك كان يجمع إلى القوة الحربية دهاء الساسة وحذقهم . فرأى بثاقب نظره أن حزب الانتقام يتكون فى فرنسا وينادى بأخذ الثأر من ألمانيا فلم يكن منه إلا أن فكر فى شغل أذهان الفرنسيين عن المناداة بالانتقام فوجه أطماعهم خارج القارة الأوربية وأوحى إليهم بتوسيع أمبراطوريتهم الإفريقية . وهكذا أخذ بسمرك يلوّح للفرنسيين بضرورة احتلالهم لتونس ، ولكن احتلال فرنسا لتونس سيترتب عليه اختلال توازن القوى بينها وبين إنجلترا فى البحر الأبيض .

وانتهز ساسة إنجلترا فرصة تساهل بسمرك فرحبوا بفكرة احتلالهم لمصر مقابل السماح لفرنسا باحتلال تونس .

« والواقع أن فكرة احتلال إنجلترا لمصر مقابل احتلال فرنسا لتونس إنما ترجع إلى أوائل عام ١٨٧٦ حين رأى بعض الساسة الإنجليز أن على إنجلترا انتهاز الفرصة واستغلال الفرص الذى قدمه بسمرك باستيلاء إنجلترا على مصر فى مُقابل تمكين فرنسا من احتلال تونس »

وبدأت الفكرة ؛ فكرة احتلال إنجلترا لمصر تتقدم منذ ذلك الحين على يد بسمرك لا لشىء إلا لأنه يريد أن يسكت إنجلترا حين تقوم فرنسا باحتلال تونس .

وفى ابريل سنة ١٨٧٨ نجد « مونستر » السفير الألمانى فى لندن يؤيد فكرة احتلال إنجلترا لمصر ويدعو لها كما يتحمس لها فى ذلك الحين أيضاً « سولسبرى » من الجانب الإنجليزى .

وهكذا تنمو فكرة احتلال إنجلترا لمصر مع فكرة احتلال فرنسا لتونس وتسيران جنباً إلى جنب يؤيدهما ويباركهما زمارك عال ألمانيا ورضاءه وبتأييده ونفوذه .

لقد كتب مراسل التيمس إلى جريدته فى ٢٠ أبريل سنة ١٨٧٨ م يقول : « لقد روى لى بسمرك بنفسه أنه قال للورد بيكونسفيلد حين شاهده لأول مرة أن من صالح إنجلترا أن تتفاهم مع الروسيا على أن تدعها حرة فى القسطنطينية مقابل إطلاق يد إنجلترا فى مصر » .

وهكذا أصبح مفهوماً من ضمن أحاديث الساسة أن الاتفاق قد تم على هذا التقسيم . وحين أراد ساسة فرنسا السير جدياً فى مشروع احتلال تونس سعوا إلى الحصول على تأكيد كتابى من إنجلترا حتى لا تعود فتتنكر لما قطعه ساستها من عهود . وقد حصل الفرنسيون على هذا التأكيد الكتابى فى ٧ أغسطس سنة ١٨٧٨ م . ثم يسعى الإنجليز بعد ذلك بدورهم للحصول على تأكيد رسمى من فرنسا بموافقتها على احتلالهم لمصر فيثيرون المشاكل أمامها فى تونس ويقفون عقبة دون القيام باحتلالها . ويتساءل الفرنسيون : « لماذا تلجأ إنجلترا إلى إقامة العقبات أمامنا فى تونس؟ إن لها فى البحر الأبيض وسوف يكون لها مصالح كثيرة . وسوف نمد إليها يد المساعدة . ولكن هذا التلميح لا يكفى ؛

(١) محمود الخفيف . أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه . مطبعة الرسالة المقدمة . هـ ..

فيضطر وزير الخارجية الفرنسى « سنت هيلير » إلى التصريح « بتفوق المصالح الإنجليزية فى نهر النيل وقناة السويس على المصالح الفرنسية » ثم يؤكد فى ديسمبر سنة ١٨٨٠ « أنه على استعداد دائم للتصريح بأن المصالح البريطانية فى مصر تفوق غيرها من مصالح أى دولة أوربية أخرى » .

وهكذا تقاسمت الدول الأوربية الأمبراطورية العثمانية وهي لا تدرى . وبدأ التضامن بينها في التقسيم ينمو منذ عام ١٨٧٦ م وقام بسمرك بدور القاضى يوزع بالعدل والقسطاس المستقيم ؛ يرضى فرنسا حيناً ويرضى إنجلترا حيناً آخر ، ولكن على حساب تلك الأمبراطورية التى كانت تسير بخطى سريعة إلى نهايتها المحتومة . ولقد لاحظنا كيف تبادل المندوبون التصريحات والتأكيدات حتى لا ينتطح فيها عنزان . بل لقد كانت الملكة فيكتوريا نفسها — كما يتبين من خطاباتها — من أكبر مؤيدى مشروع احتلال إنجلترا لمصر وتثبيت أقدامها فى وادى النيل .

وبينما كانت الصحافة الإنجليزية تمهد الرأى العام فى الداخل لتقبل ذلك الحدث الجديد ؛ كانت السياسة الإنجليزية — وقد نالت تأييد بسمرك وفرنسا — قد انفردت بالتدخل فى شئون مصر لا سيما بعد أن تلقى ممثلو فرنسا فى مصر من وزير خارجيتها تعليمات سرية تدعوهم إلى الموافقة على ذلك الوضع الجديد .

وهكذا نجد أن وثائق التاريخ الحديثة قد أثبتت أن فكرة احتلال إنجلترا وُجدت منذ أواخر عهد إسمعيل . وأن إنجلترا بدأت تعمل جدياً لتحقيقها منذ سنة ١٨٧٦ ، وأن ما حدث من حوادث قبل الاحتلال لم يكن إلا من قبيل ذر الرماد فى العيون ، فاشتراك الدول فى مؤتمر الآستانة لا سيما فرنسا كان تمثيلية رائعة أريد بها التمويه على الدولة العثمانية ؛ وقد نجحت تلك التمثيلية نجاحاً باهراً ، وقل مثل ذلك فى انسحاب الأسطول الفرنسى من ميناء الاسكندرية قبل ضربها وترك الأسطول الانجليزى يصول ويجول وحده فى الميدان . ولماذا ؟ ألم يدع الإنجليز فرنسا قبل ذلك بعام واحد تصول وتجول هى الأخرى بمفردها فى ميدان تونس ؟!

لذلك لا نذهب بعيداً إذا قلنا أن الاحتلال الإنجليزى لمصر كان سيتم سواء وُجد عرابى أم لم يوجد ، وسواء قام بحركته أم لم يقم ؛ فما كان من الصعب على إنجلترا أن تخلق سبباً مباشراً لتلك الجريمة التى اشترك فى إعدادها ساسة ألمانيا وفرنسا وأخيراً ساسة إنجلترا .

لقد كان الاحتلال الإنجليزى لمصر وليد السياسة الأوربية ولم يكن نتيجة للحركة العرابية .

فكيف يكون عرابى مسئولاً ؟ وكيف نتحامل عليه ؟ لقد بذل عرابى أقصى ما فى طاقته ؛ ولو لم يظهر عرابى لظهر مكانه عرابىٌ آخر ، ذلك أن عرابى كان يمثل الشعب المصرى وما كانت الحركة التى قام بها حركته هو بل حركة الشعب المصرى بحسناته ومساوئه فى ذلك الحين .

حقاً ، لقد آن لنا أن ننصف تاريخ عرابى — الزعيم المفترى عليه بحق — وأن ننصف تاريخ الثورة العرابية لا بدافع التعصب لقوميتنا ولكن لوجه الحقيقة والحقيقة وحدها .

إن مسئولية الاحتلال البريطانى لمصر لا تقع إلا على عاتق الدول الأوربية وعلى رأسهم بسمرك .

لقد كانت الدولة العثمانية أشبه بالرجل المريض أو الكهل الهرم . كان الداء قد سرى فى جميع أنحائها ؛ وكان الضعف قد دب فى جميع أوصالها . واتسع الخرق على الراقع فوقفتْ مكتوفة اليدين لا تنشد النجاة والخلاص إلا فى بقاء النزاع والاختلاف بين أعدائها .

فعلى من تقع مسئولية الاحتلال ؟!

ألست معى أيها القارىء العزيز فى أنها تقع على عاتق بسمرك ذلك الرجل الذى وفق بين المتنازعين فقاموا يتقاسمون بركة نفوذه وسيطرته تركة الرجل المريض ومكن إنجلترا من احتلال مصر فخرجت من عملية البر بأحسن نصيب ؟!

(الاسكندرية) كمال السيد درويش

ليسانسيه الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالى
ومدرس بالرمل الثانوية
وعضو الجمعية التاريخية لخريجى جامعة فاروق

اقهر الحيـــاة ...

للشاعر الفرنسى أندريه ريفوار

ترجمة الأستاذ على محمد سرطاوى

انطلق فى الحياة وامش على الشو   ك قويا كالمـــارد الجبار
شامخ الرأس والعزيمة تمضى   فوق نار الأخفاق كالاعصار
فى رحاب الحياة عش شامخ الرو   ح أبياً يدوس وجه النضار
احترق فى الطموح والمثل الأعلى   وما فى العذاب من إسعار
احترق فى الكفاح وافن نضالا   فى صميم الأهـوال والأخطار
هـكذا يغلب الحياة ويحيا   ذو جنان فى العز والأكبار
يثبت الباســـل المظفر فيها   وعلى ثغره ابتسام احتقار

***

إن تلاشت أحلام قلبك فى يأ   س فعاود ارجاعها من جديد
أو إذا أوهنت عزيمتك الدنيا   فجدد عزيمة كالحـــديد
أو إذا ما طوى أمانيك إخفا   ق فلا تأس وابتهج فى الوجود
خذ جناحاً وطر بمـا فيك من   خيبة سـعى إلى طموح بعيد
احترق قوة وضعفاً وعزما   وعذاباً فى النار ذات الوقود
احترق صحـــة وسقما وبؤسا   وتغلب على جميع القيود
احترق فى العذاب فوق أمانيك   وعش فى الحياة عيش الأسود

***

كن صبوراً على المصائب والهو   ل ولا تشك من قراع الخطوب
كن شجاعاً وحازماً واحذر البغى   وفرج ظلامـــة المكروب
كن إلاهاً واذكر بأنك إنسا   ن وإن عشت فى ضمير الغيوب
احترق فى تجارب الدهر واصبح   فيلسوف الأوجاع والتعذيب
احترق فى لظى الإرادة واحمل   ضربات الأسى بقلب طروب

***

ربما دودة وجدت على اللقمة   قد أفســدت مذاق الرغيف
وسموم فى شربة المـاء تبدو   فى ثرى كاسها معانى الحتوف
وفتـاة فى قلبها يذبل الحب   ويذوى الوفاء فى التزييف
انبذ الخبز واسكب الماء واهجر   كل قلب فى الحب غير عفيف
احترق صامتـاً إباء وصـبراً   واحتمالاً على اللهيب المخيف
احترق عزة ولا تشك خطباً   واغلب الدهر فى الصراع العنيف
احترق ظامئاً وعش تتلظى   جائماً فى الحياة غـير ضعيف

***

لن تلاقى الهوان إلا إذا عشت   بغـــير الأناة فى الـكائنات
واحتقار الحيـاة لن يتراءى   لأبى يعرف ما فى الحيـــاة
سترى الموت إن زحفت على الأرض
تُـلاق الحيـــاةَ كالحشراتِ
فأدر وجهك الأبى ولا تنظر   لغير الخـلاّق فى الصلوات
وحبيب الفؤاد يصمت أحياناً   ولو سرت فى طريق الممات
احترق وحدة على لهب الآمال   واصبر على عذاب الثبـات
احترق فى الصعاب صلباً وحلق   بجنـاح الآلام فى النائبـات

***

وإذا ما حنت إليك تناديك   حظوظ من الزمان السـعيد
ملؤها العطف والمحبة والإكبار   للبـــاسل الأبى الودود
ومشىَ فى ركابك المجد والدنيا   تحييك فى خشوع السجود
امش قُدُماً وافتح مغـاليق أسرارك
واحرق ما نلت من تمجيـــد
احترق ناظراً إلى الهدف الأسمى   صـبوراً على عذاب القيود
احترق ناظراً إلى مطلع الشمس   صلاة على لســـان الوجود
احترق ساعياً لتبلغ فى الدنيا   كمالا يقول : هل من مزيد

(السنيب — العراق)   على محمد سرطاوى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة الأداء النفسي في الشعر العربي :

ما كدت أنتهي من قراءة مقالك الرائع عن الأداء النفسي في الشعر العربي حتى وجدتني مدفوعاً إلى الكتابة إليك ، معبراً لك فى حرارة وإخلاص عن إعجابي الشديد بهذا المقال الفريد الذى بلغت فيه الذروة من حيث عمق الفكرة ، ورهافة الإحساس ، ودقة الشعور ، وبراعة الأداء . لقد أديت بمقالك هذا الرائع خدمة عظيمة لمن يريدون أن ينقدوا الشعر والأدب ، فدللتهم على الوجهة المثلى التى يجب أن يتجه إليها كل من شاء أن يتصدى للنقد الفنى المفيد ، وأديت به كذلك خدمة عظيمة لقراء الشعر والأدب ، فعرفتهم كيف يقرأون الشعر قراءة تأمل واستيعاب وتجاوب ، وأديت به فوق ذلك خدمة للشعراء المحدثين حين جعلتهم يدركون أن هناك ناقداً ممتازاً يرصد الطريق ، ليقيم المائل ، ويوجه المنحرف ، وينبذ المعوق ، ويشجع المستقيم . وإنى لأحمد الله على أن ميدان النقد الأدبي — وهو ميدان خطير الشأن — لم يخل بعد أن انصرف عنه أمثال طه والعقاد والمازني وهيكل ، من أمثال المعداوى وقطب ومندور ، مع ما امتاز به الأخيرون من التجاوب مع شعراء الشباب فى التفكير والشعور والإحساس .

وقد كنت أحب ألا تجعل كلامك مقصوراً على نموذج واحد لشاعر واحد ، فذلك من شأنه أن يغمط حقوق الآخرين . وكنت أحب كذلك أن تلتفت فى هذا المجال إلى الشعراء الشبان ممن تجد لديهم النماذج المنشودة للأداء النفسي .. كنت أحب أن تلتفت إلى هؤلاء الشعراء ، ليكون هذا الالتفات تحية وتشجيعاً لهم من جهة ، وتوجيهاً وإرشاداً من جهة أخرى ، ولأنهم عدة المستقبل ومعقد الرجاء . أما بعد فقد كنت مشغولاً عن القراءة والكتابة بظروف خاصة تتصل بكائنين عزيزين كل منهما أحب إلى من نفسي ، ولكن مقالك هذا قد استطاع أن يستأثر بي بعض الوقت فقرأته ، ثم استطاع أن يؤثر فى نفسي تأثيراً عميقاً فكتبت إليك أعذرنى إذا لم أستطع أن أحدثك بكل ما لدى بسبب هذه الظروف الخاصة ، وتقبل أخلص آيات المودة وأعظم دلائل التقدير من المخلص : ابراهيم محمد نجا

هذه رسالة شاعر يشهد الله أننى أقدره قبل أن ألقاه هذا اللقاء الفكرى الأول ، ويشهد الله أن تقديرى له قبل لقائه كان وليد تلك الومضات النفسية التى طالعتني من شعره فيما قرأت له على صفحات « الرسالة » و « الكاتب المصرى » .. واليوم يزداد تقديرى له وإعجابي به لأن الشاعر الذى يجيد التعبير عن عالم النفس والحياة ، ثم يجمع إلى هذه الموهبة سلامة النظرة إلى عالم الأدب والنقد ، هذا الشاعر جدير بالتقدير والإعجاب !

هذه كلمات لا أريد بها أن تقوم مقام الشكر على كريم تقديره ، وإنما أريدها تقرير واقع تمثل بالأمس فى تحية من القلب ، حتى إذا دعت إليه المناسبة تمثل اليوم فى تحية من القلم ... لقد جاء ذكره مرة على لسان الدكتور طه حسين فأثني عليه أمامى وأثنيت ، وجاء ذكره مرة أخرى على لسان الأستاذ الزيات فأثنى عليه أمامى وأثنيت ، وحسب الشاعر الفاضل مثل هذا الذكر الجميل !

بعد هذا أقول للأستاذ نجا إن مقالى عن مشكلة الأداء النفسي فى الشعر قد قصدت به إلى غاية ورميت به إلى هدف ، أما الغاية فهى عرض المشكلة من شتى نواحيها ومختلف زواياها مع الاستشهاد الذى يقرن بين النقد والمثال ، وأما الهدف فهو رسم الطريق لقارىء الشعر وناظمه وناقده على هدى ميزان أثقته وأومن به ، فمن شاء أن يأخذ به من هؤلاء جميعاً فليأخذ ، ومن شاء أن ينصرف عنه فلينصرف .. ولكننى أحمد الله مع الأستاذ الشاعر على أن ميدان الذوق الأدبي — وهو ميدان خطير الشأن — لم يخل من امثال هؤلاء الذين يمشون إلى رسائلهم الممتازة تعقيباً على ما أكتب ، وحسبي أن يكون من بينهم صاحب هذا الذوق اللمّاح ! .

هذا هو المجال الذى أردت أن أكتب فيه ، وهو مجال يحدد جوانب المشكلة وما فيها من قيم ، على أن يكون ذلك عن طريق العرض الفنى لتلك الجوانب ، لا عن طريق الاستعراض النقدى للشعراء ممن يمثلون هذه القيم ... وإذا كنت قد استشهدت

بأبيات لإيليا أبي ماضي فليس معنى ذلك أن إيليا يقف وحده في ميدان الأداء النفسي الذي أدعو إليه ، وإنما جاءت أبياته كنموذج كامل لهـذا الأداء حتى يستطيع القراء والنقاد أن ينظروا إلى كل إنتاج شعري على ضوء هذا النموذج بالنسبة إلى الشعر العربي قديمه وحديثه . ولعل الأستاذ نجا قد لاحظ أنني أشرت إلى مدرستين تمثلان هذا الاتجاه في الشعر المعاصر ، وذلك عند ما قلت إن المدرسة الأولى قد نهض بها بعض شعراء الشيوخ وعلى رأسهم شوقي ، وإن المدرسة الأخرى قد نهض بها بعض شعراء الشباب وعلى رأسهم إيليا أبو ماضي ... ومعنى ذلك أن هناك شعراء يقفون إلى جانب الشاعر الأول ، وأن هناك آخرين يقفون إلى جانب الشاعر الثاني ، سـواء في مصر أو في المهجر أو في غيرهما من الأقطار العربية .

أما قول الأستاذ نجا بأن الاكتفاء بنموذج واحد لشاعر واحد من شأنه أن يغمط حقوق الآخرين فلا أوافقه عليه ... يأخي ثق أن الرأي العام الفني بخير ، وأن أصحاب المواهب لابد أن يشقوا طريقهم إلى النفوس والعقول والأذواق ، ولابد أن يصلوا إلى نهاية الطريق وتحت أقدامهم أشلاء الفارغين والطموسين وكل من تحدثه نفسه باعتراض القافلة ! ومع ذلك فقـد كنت أود أن أحقق هذه الرغبة الكريمة التي عرض لها الشاعر الفاضل في رسالته ، ولـكن ضيق المجال قد حال بيني وبين هذه الأمنية من جهة ، ولأني أشعر شعوراً عميقاً من جهة أخرى بأن مشكلة الأداء النفسي في الشعر أجدر بأن يفرد لها كتاب من أن تفرد لها كلمات في مقال ، وهذه هي الومضة التي تشع في خاطري منذ أمد بعيد ، وتدفعني إلى التفكير في إخراج هذا الـكتاب الذي أرجو أن أتناول فيه بالبحث والتحليل مشكلة الأداء في الشعر العربي كله ، منذ أقدم عصوره حتى هـذا العصر الذي نعيش فيه ... وعندئذ يمكن أن نتحدث عن الأستاذ نجا وأمثاله من الشعراء المطبوعين .

مجلة «الصياد» اللبنانية تعقب على موضوع السرقة الأدبية :

في العدد (٨٤٤) من الرسـالة كنت قد كتبت كلمة عن السرقة الأدبية التي وقعت بين جدران كلية المقاصد الإسلامية ببيروت ، وموضـوع السرقة أن هناك طالباً من طلاب تلك الـكلية قد سطا على مقال للأستاذ الزيات ، فتقدم به لنيل جائزة مالية في مسابقة سـنوية تقام بين الطلاب في ميدان الـكتابة والخطابة . أما الجائزة فيهبها للفائزين أحد رجال الصحافة المعروفين في لبنان ، وهو الأستاذ محي الدين النصولي ... ولقد حدث أن جازت السرقة على لجنة من الحـكمين وظفر الطـالب بجائزة ، وخرج من المسابقة وهو يحمل وسمتين وينوء بوزرين ، هما السطو على أدب الزيات ثم السطو على مال النصولي !

هذا هو موضوع السرقة الذي عقبت عليه من قبل جريدة « صدى الأحوال » اللبنانية ، معربة عن بالغ دهشتها من ألا يفطن الحـكمون « الجهابذة » إلى أن المقال مكتوب بأسلوب الزيات ويحمل طابعـه في التفكير وطريقته في التعبير ، ناعتة هؤلاء الحـكمين بالقصور وقلة الاطلاع ! ... هذه هي الزاوية التي نظرت منها « صـدى الأحوال » إلى لجنة الحـكمين ، ولـكن مجلة « الصياد » قد نظرت إلى اللجنة من زاوية أخرى أكثر عمقاً وأوفر طرافة ، حين عقبت على الموضوع مستجيبة في هذا التعقيب لما كتب في « الرسالة » ، وإليك هذا التعقيب الرائع الذي جاء بالعدد الصادر في ٢٣ سبتمبر الماضي تحت عنوان « محمد المبود أبلغ من الزيات ! ! » :

« في منتهى العام الدراسي الماضي ، أقامت كلية المقاصـد الإسـلامية في بيروت مباراة إنشائية خطابية بين طلاب قسم البكالوريا لنيل جائزة الأسـتاذ محي الدين النصولي السنوية . وقد جرت المباراة بسلام ، ووزعت الجوائز على مستحقيها الثلاثة . وكان الأول السيد محمد المبود والثاني السيد ظافر تميم . ونذكر أن أحد أفراد أسرة « الصـياد » كان بين الحضور فـكاشف اللجنة التحكيمية بعدم توفيقها في إصـدار الأحكام ولا سيما فيما يختص بتفضيل السيد المبود على السيد تميم ! وكان الجواب أننا لم نشهد إلا شطراً من المباراة ، وهو الشطر الخطابي وقد وضعت العلامات على القدرة الخطابية وأضيفت إلى العلامات الموضوعة على القدرة على الإنشاء فـكانت النتيجة التي رأينا . ولما سألنا أ كانت الموضوعات الإنشائية غير تلك التي ألقاها الطلبة في الحفلة الخطابية ، كان الجـواب لا . وعندئذ أصررنا على استغرابنا واستنكارنا ... وراحت الأيام تطوى الأيام ، إلى أن

قرأنا حديثاً صباحياً للزميل « شيخ بيروت » يميط فيه اللثام عن جريمة أدبية ... فقد ثبت أن السيد ظافر تميم زور في المباراة الإنشائية ، وبدلا من أن يكلف نفسه عناء عصر الدماغ وتنميق العبارات والتعرض لأخطار النحو والإملاء ، أغار على النشىء المصري المعروف الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة فاختلس منه قطعة عنوانها « وإنما الأمم الأخلاق ... » ، طرز بها ورقة المسابقة وذيلها بإمضائه الكريم . وبوسعنا القول إن صاحبنا الفتى يحسن الاختيار حقاً في مادة الأخلاق ! !

وبعد أن أماط « شيخ بيروت » اللثام عن هـذه السرقة الأدبية — غير المؤدبة طبعاً — نصح للفائز الثاني بإعادة الجائزة المالية التي قبضها لتضاف إلى مبلغ الجائزة النصولية في العام المقبل . ولئن انتهت المسألة عند هذا الحد في نظر « شيخ بيروت » فهي لم تنته عند أحـد محرري الصياد ؛ ذلك أن الفضيحة تتناول لجنة التحكيم أيضاً ، وكانت تتألف من الأساتذة حسن فروخ وموسى سليمان والدكتور جميـل عانوتي . فإذا غفرنا للجنة تقصيرها في كشف السرقة حين كانت تحقق وتدقق في أوراق المسابقة الإنشائية ، فكيف نغفر لها تفضيل إنشاء الطالب محمد العبود على إنشاء الأستاذ الزيات ، وهو علم من أعـلام البلاغة والبيان في العالم العربي » ؟!

هذه « تفشة » بلغت الغاية في الطرافة ودقة الملاحظة ، وإن كاتبها المحرر الفاضل ليستحق عليها كل تهنئة ، ومهما يكن من شيء فلا عجب أن يكون محررو « الصياد » من هذا الطراز وأستاذهم صديقنا الصحفي النابغ سعيد فريحة !

دراسة الأديب على ضوء حياته الخاصة :

هذه رسالة من « دمشق » يطلب إلي فيها مرسلها الأديب الفاضل عدنان الطيبي أن أكتب بضعة فصول نقدية عن بعض الشخصيات الأدبية في مصر ، من أمثال الأساتذة العقاد والزيات وطه حسين والحكيم وتيمور وأحمد أمين والمازني وهيكل ثم يحدد هذه الرغبة بأن تكون الدراسة النقدية غير مقصورة على شخصياتهم الفنية التي تطالعنا من نتاجهم الأدبي ، وإنما تنفذ إلى أعماق شخصياتهم التي تطالعنا من واقع الحياة ، حتى يستطيع القراء أن يربطوا بين الشخصيتين في سبيل الكشف عن أثر الحياة الخاصة في توجيه المواهب الذاتية وتلوين الملكات الأدبية عند كل كاتب من هؤلاء الكتاب ... إن ردي على رغبة الأديب الفاضل هو أن هناك عقبات تعترض طريق هـذه الدراسة التي يود أن أقوم بها على صفحات « الرسالة » ، منها أن حياة بعض الناس الخاصة لا تخلو من جوانب يفرض علينا الذوق ألا نتعرض لها ما داموا على قيد الحيـاة ، قد تكون هذه الجوانب ذات أثر كبير في تلوين المادة الفكرية ، ولكنني أرى — وقد يعترض بعض الناس — أن الكشف عن هذه الجوانب لا يحل لدارس الشخصيات وكاتب التراجم ، إلا بعد أن تنقطع الصلة بين أصحابها وبين الحيـاة ، ... عندئذ تصبح كل حياتهم حقاً مباحاً للدارسين ، وعندئذ يحل للتاريخ الأدبي أن يقول كلمته ! ومن هذه العقبات أيضاً أنني أعرف بعض هؤلاء الأدباء معرفة كاملة وأعرف بعضهم الآخر معرفة عابرة ، وفيهم من لا أعرفه على الإطلاق ، فأنا مثلاً أعرف من الفريق الأول الزيات وطه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وتيمور ، وأعرف من الفريق الثاني العقاد والمازني حيث لقيت العقاد أول لقاء وآخر لقاء في جريدة « الأساس » وكذلك الأمر فيما يختص بالمازني رحمه الله في جريدة « أخبار اليوم » ، أما الكاتب الذي يمثل الفريق الثالث فهو الدكتور هيكل ! ... وإذا كنت أعرف بعض الجوانب الخاصة في حياة هؤلاء الذين لم تهيء لي الظروف مصاحبتهم ، فهي معرفة عن طريق الغير أي عن طريق النقل والاستماع ، ولعل الأديب الفاضل يوافقني على أن الأمانة القلمية تفرض علينا ألا نطمئن كثيراً إلى هذا الفريق ، إذا ما أردنا أن نؤرخ الأدب على الأساس الذي أشار إليه !

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

أقول للجندي الفاضل محمد عبد العال « بالقاهرة » إن مأساتك التي قصصتها على ليس مكانها « الرسالة » ولكن مكانها هنـاك في « الأهرام » حتى يمكن أن تظفر باهتمام المسئولين ، فاكتب إلى الصديق الأستاذ أحمد الصاوي محمد ولك مني أن أوصيه خيراً بشكواك . وأقول للأديب الفاضل محمود أمين « بأسيوط » إنني في انتظار مقالاتك . وأقول للأديب الفاضل عبد العظيم الحيلي « بالجيزة » إنني شاكر لك جميل عنايتك وصادق اهتمامك ومقدر لك هذه اللمحات الطيبة التي تبعث بها إلي من حين إلى حين . وأقول للأديب الفاضل حماد محمد أحمد « بفرشوط » إن الجنة التي سألتني عنها في رسالتك هي الجنة التي وعد بها المتقون !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

استقبال العضوين الجديدين في مجمع اللغة :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين الماضي ، باستقبال حضرتي الأستاذين أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى ، اللذين انتخبا وصدر المرسوم الملكي بتعيينهما عضوين عاملين بالمجمع، مكان المغفور لهما أنطون الجميل باشا وعلى الجارم بك .

بدأ الاحتفال بإلقاء الدكتور أحمد أمين بك كلمة استقبال الأستاذ إبراهيم مصطفى ، وقد استهلها بالحديث عن بدء الصلة بينهما حينما كانا طالبين بالأزهر يحفظان المتون ويدرسان الأدب الذي كان يدرس في الأزهر على هامش العلوم في ذلك الزمان . وقد اهتم الدكتور أحمد أمين في هذه الكلمة بالتحدث عن النحو وجوده ، وبناء قواعد اللغة العربية على أساس « العامل » ورأى الأستاذ إبراهيم مصطفى في « هدم العامل » وعقب على هذا وذاك بأن عيب النحويين جميعاً أنهم يريدون أن يخضعوا اللغة للمنطق ، واللغة من وضع العاقل والأحمق والمتعلم الجاهل ، ثم جاء العلماء واهتموا بها على أساس المنطق فأتعبوا أنفسهم دون طائل . وضعها الصغار وتعب فيها الكبار ...

وبعد أن أفاض الدكتور في ذلك ، قال إن الأستاذ ابراهيم مصطفى ليس نحوياً فحسب ، وإنما هو قوى الأسلوب والخيال وله قدرة على وضع القصة الصغيرة ، إلا أن السلك الذى يربط بين ذهنه ويده مصاب بعطب ... ولم يبين ما يريد بهذا العطب .

وقد كان حظ النحو وما تبعه من الطرائف في كلمة الدكتور أحمد أمين أكثر من حظ الأستاذ ابراهيم مصطفى نفسه . فكل ما ذكره عنه حفظه المتون في الصغر ورأيه في نظرية العامل ، ثم الوصف الإجمالى الأخير الذى ختمه بتلك الإشارة التى لا ندرى أهي دعابة أم نقد ، حتى النظرية النحوية هدمها !

ثم ألقى الأستاذ ابراهيم مصطفى كلمته ، فشكر الدكتور أحمد أمين وأشار بلباقة واختصار إلى بعض ما ذكره ، ثم تطرق إلى الحديث عن سلفه المرحوم على الجارم بك ، وقد وجه معظم الحديث عنه إلى جهوده في النحو من حيث تيسيره وتقريبه . وهكذا كان الأمر فيما بين الدكتور أحمد أمين والأستاذ ابراهيم مصطفى أكثره نحو ... على ذلك النحو .

ثم وقف الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك فألقى كلمة استقبال الأستاذ الزيات ، فقال إنه التقى به لأول مرة من نحو أكثر من ثلاثين سنة ، زميلين في التدريس بمعهد أهلي ، فوجد فيه شاباً أنيقاً في زيه الشرقي ، حيياً يفيض علماً وأدباً ، وأشار بفضله في تجديد تعليم اللغة العربية وآدابها ، ومنهجه الجديد في تاريخ أدب اللغة بكتابه « تاريخ الأدب العربي » وأفاض الأستاذ أبو حديد في بيان أثر الأستاذ الزيات في أدب الجيل، ونوه بترجمته « آلام فرتر » و« رفائيل » قائلاً بأنها الترجمة المنشودة للمشاركة الأدبية العالمية .

ثم حلل ناحية في أسلوب الأستاذ الزيات وهى الخاصة بوضع الكلمة في موضعها سواء في الترجمة والإنشاء . واستطرد بعد ذلك إلى بحث مستفيض في استعمال الكلمات في المقامات المختلفة ، وأتى بأمثلة من الشعر العربي وحللها مبيناً ما فيها من ظلال التعبير النفسية . وهذا الموضوع : مناسبة التعبير للحال وما يضفيه من ظلال نفسية خاصة ، موضوع قيم ، ولكنه شيء آخر غير الإتيان بالكلمة في موضعها .

وعلى أثر ذلك نهض الأستاذ الزيات فألقى كلمته ، ويراها القارئ في صدر هذا العدد من « الرسالة » ولست أقول فيها إلا أنها دلت عليه دلالة واضحة إذ قدم نفسه بها خير تقديم .

بقيت في النفس ملاحظات عامة ، أردت أن أتناسى عنها ، ولكنها تلح على ، متذرعة بأن لها هدفاً وأنها ذات موضوع ، على حد التعبير الذى ذاع عن معالى رئيس المجمع ، ذلك أن بعض

الأعضاء الذين تكلموا في الحفل، لم يراعوا الصحة اللغوية في استعمال بعض كلمات وضبط أخرى، ومثل هذا إن أمكن التغاضي عنه في غير مجمع اللغة، فإنه لا يقبل من أعضاء المجمع وهم رجال اللغة. مثال ذلك ماذكره الأستاذ إبراهيم مصطفى عن جهود الجارم في أعمال المجمع، ومنها « القاموس الوسيط » يقصد « المعجم الوسيط » والفرق بين المعجم والقاموس معروف.

أمينة:

هي امرأة فرنسية، تزوجها الشيخ إبراهيم، وسماها « أمينة » على اسم المرحومة أمه لحبه إياها.

والشيخ إبراهيم رجل من أغنياء إحدى القرية المصرية، يهتم بتربية الخيل، ويقوم عليها عنده ابن خالته الشاب الوسيم « محمد » الذي يفتتن بجمال أمينة وتفتتن هي أيضاً به، فهي فتاة في ميعة الصبا وزوجها شيخ يكبرها بعشرات السنين.

وتعود ابنة الشيخ إبراهيم « عايدة » من القاهرة إلى القرية لقضاء العطلة المدرسية، فلا تستريح أمينة زوج أبيها لقدومها، ويضايقها انصراف زوجها إلى ابنته وعطفه عليها.

وينشأ حب صامت بين عايدة وبين محمد، ولكن هذا يستمر في علاقته الآثمة بأمينة.

وتساور الشيخ إبراهيم الشكوك في محمد. وتعمل عايدة على أن تجنب أباها الوقوف على حقيقة الصلة بين أمينة ومحمد، منعاً لحدوث ما يخل بسمعته وشرفه، ويؤدي ذلك إلى أن تظهر في موقف مريب مع محمد فيطردهما من المنزل، فيلجآن إلى منزل أخت الشيخ إبراهيم وزوجها الشيخ عبد المحسن، فيتزوجان ويعمل محمد عند طبيب بيطري بالقرية، ويعيش الزوجان في سعادة يظلهما الحب المتبادل ويسخط الشيخ إبراهيم على ابنته لمسلكها وزواجها من محمد السائس، ويقبل على زوجته أمينة ويمعن في تدليلها والإغداق عليها.

وتلتقي أمينة بمحمد فتعمل على إغرائه فيأبى أولا ثم لا يلبث أن يعود معها إلى ما كانا فيه. وفي خلال ذلك يجمح جواد من جياد الشيخ إبراهيم فيجري وراءه بالعربة التي تنقلب به في الترعة في مكان بعيد عن القرية بحيث لم يدر أهله أين مكانه.

ويذهب محمد مرة إلى أمينة فيجدها جثة، ويقبض عليه

كشكول الأسبوع

▫ يشتغل الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة باشا، بوضع مسرحية شعرية عن « شجرة الدر » وقد أوشك أن يفرغ منها، وسيبعث إلى « الرسالة » بأجزاء منها تنشر تباعاً. وهي فرصة طيبة يستمتع فيها القراء بأدب سعادة الأستاذ.

▫ تهتم بذكرى ابن سينا، كل من البلاد العربية وإيران وتركيا، وتنسبه كل منهما إليها. وقد حسمت إحدى الصحف التركية هذه المسألة بقولها: إنه لا يصح أن يعد ابن سينا عربياً أو إيرانياً أو تركياً، وإنما ينبغي اعتباره ثمرة من ثمار المدنية الإسلامية.

▫ جاء في نشرة ثقافية لوزارة الخارجية المصرية. أن هيئة اليونسكو قررت ترجمة روائع شكسبير وجوته وباسكال وغيرهم من أعلام الأدب الغربي إلى اللغة العربية، لنشرها في بيئات الشرق الأوسط؛ وذلك كجزء من البرنامج الشامل الذي تعده اليونسكو لنشر الثقافة العالمية.

▫ قام الأستاذ آصف علي أصغر الفيظي سفير الهند في مصر، بتحقيق كتاب « دعائم الإسلام » للقاضي أبي حنيفة النعمان المغربي، وسيقدمه قريباً للطبع. والأستاذ الفيظي له نشاط علمي معروف، ومن مؤلفاته كتاب عن الوصية في التشريع الإسلامي. وقد أسس في الهند سنة ١٩٣٣ جمعية للدراسات الإسلامية، أصدرت أخيراً الكتاب التذكاري لمرور خمسة عشر عاماً على تأسيسها، متضمناً أبحاثاً للأستاذ ستروتمان الألماني والأستاذ برنارد لويس الإنجليزي والدكتور محمد كامل حسين الأستاذ بجامعة فؤاد الأول.

▫ توفيت أخيراً المستشرقة الإنجليزية ليليان آدم سميث، وهي في الثالثة والثمانين من عمرها.

▫ اختار الأستاذ ابراهيم الوائلي موضوع « الشعر السياسي المعاصر بالعراق » لرسالة يتقدم بها للحصول على درجة (الماجستير) من جامعة فؤاد الأول. واختار الأستاذ أحمد هيكل موضوع « الأدب الحديث في السودان » لنيل (الماجستير) أيضاً. ومن هنا وذاك يتبين اتجاه جديد في الجامعة نحو الدراسة الأدبية المعاصرة في الأقطار العربية، وهو اتجاه سديد نرجو لأصحابه التوفيق.

▫ يقترح بعض الأدباء اليونانيين بالأسكندرية إنشاء كرسي للأدب اليوناني بجامعة فاروق الأول، على أن تنشىء جامعة أثينا كرسيا للأدب العربي فيها ومما يذكر أن من هؤلاء الأدباء من يكتب وينظم الشعر باللغة العربية الفصيحة

▫ من مكتبات القاهرة مكتبة كل كتبها من تأليف مؤلف واحد، وهي مكتبة الأطفال للأستاذ كامل كيلاني.

▫ يطالب أدباء لبنان بإطلاق اسم الشاعر خليل مطران على أحد شوارع بيروت وإقامة تمثال له في مدينة بعلبك مسقط رأسه.

▫ جاء من دمشق أنه قد أقيمت حفلة استقبال بدار الكتب هناك، تكريماً للشاعر المعروف الأستاذ عمر أبو ريشة بمناسبة عودته إلى البرازيل.

ويتهم بقتلها ، كما يتهم أيضاً الخادم (ضبش) الذي كان يحبها وهي تنفر منه . وأخيراً يظهر الشيخ ابراهيم راقداً في فراش عند أحد معارفه ، ويفضي إلى المحقق الذي ذهب إليه بأنه اختفى على أثر الحادث الذي وقع له ، وجعل يتجسس على زوجته حتى تحقق أنها تخونه فقتلها . وبعد هذا الاعتراف فاضت نفسه .

تلك هي قصة فلم « أمينة » الذي عرض أخيراً في سينما رويال بالقاهرة ، والذي قالوا عنه إنه التقت فيه مواهب الشرق بمواهب الغرب . فقد أنتجه وأخرجه المخرج الإيطالي جوفريدو إليساندريني ، ومثلت فيه الممثلة الإيطالية آسيا نوريس (أمينة) ويوسف وهبي (الشيخ ابراهيم) ورشدي أباظه (محمد) وسميحة توفيق (عايدة) وسراج منير (الشيخ عبد المحسن) وحسن البارودي (ضبش) .

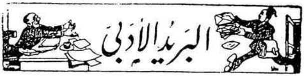
والحق أن المخرج نجح في تنظيم حوادث الفلم ومناظره ، وتحريك الممثلين ، وإبراز مواهب بعضهم وخاصة سميحة توفيق ، فقد ظهرت هذه الفتاة في بعض أفلام لم يحسن المخرجون فيها تخريجها ، أما في هذا الفلم ، فقد برزت ملكاتها الفنية بحيث استطاعت أن تقف إلى جانب آسيا نوريس ، لا تقل عنها إن لم تكن فاقتها . وقد أحسن باقي الممثلين تأدية أدوارهم ، وكان يوسف وهبي مندمجاً في دوره ، هادئاً ، لم يقتل في الفلم غير واحدة !

ثم ننظر في قيمة هذا الفلم الذي تضافرت عليه جهود عالية ... لقد تزوج رجل مصري قروي بفتاة أجنبية ، فلم يستغل هذا الزواج لاتخاذ موضوع منه ، فلم يصور باعتباره زواجاً مخفقاً لاختلاف العادات والطبائع والأمزجة بين الزوجين ، بل جرى الأمر على أن الزوجة تعيش في كنف زوجها مرتاحة إلى ما يغدقه عليها ، سادرة في تنفله والارتماء في أحضان الشاب الذي تبغي فيه عوضاً عما تفقده في الزوج ، وهذا لا يتوقف على أن تكون الزوجة أجنبية أو غير أجنبية . ويظهر أن المسألة لا تعدو تدبير دور لآسيا نوريس تظهر فيه مع يوسف وهبي . وكذلك لم أجد معنى لأن يحب الخادم (ضبش) الدميم السن ، أمينة الفتاة الرائعة الحسن ، فالإنسان يدرك بغريزته وفطرته ما يلائمه وما لا يلائمه في مثل هذه الأمور . ولكن ذلك كان افتعالا غير طبيعي قصد به ترتيب الحوادث والتمهيد لأن يقتل الزوج زوجته في النهاية .

والمخرج نجح حقاً من الناحية الفنية ، وأخرج الفلم نظيفاً من التهريج والإسفاف ، ولكنه أخفق في تصوير البيئة المصرية ، فهذه القرية التي تجري فيها حوادث الفلم ، أهلها أشبه بحي من الأحياء البلدية في القاهرة منهم بالفلاحين في كل شيء حتى لهجة الحديث ، فلم أسمع أحداً يتكلم باللهجة الريفية غير أخت الشيخ ابراهيم . وقد اهتم المخرج بإبراز مناظر معينة مما يدل على الطابع المحلي ، فجاء بعضها غير صادق مثل منظر الهرمين اللذين يظهران بجانب القرية ، ولا نعلم قرية في مصر بجانبها هرمان على الهيئة التي ظهرت في الفلم وجاء بعض تلك المناظر في غير مناسبة مثل الخيل التي تعدو براكبيها في مفتتح الفلم واختتامه من غير ارتباط بحوادث البدء والنهاية ، وكل ما في الأمر أن المخرج يريد إظهار فلاحين مصريين يجرون بالخيل ... ولا ضرر من ذلك غير أنه حشو لا فائدة منه .

ومهما يكن من شيء فإن الفلم أصغر وأتفه من أن يكون ثمرة لالتقاء المواهب العالمية ...

عباس خضر



الأمانة العلمية فى الجامعة :

قرأت ما أثاره الزميل الصديق الدكتور جمال الدين الشيال فى عدد الرسالة الغراء الصادر فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٤٩ حول الأمانة العلمية فى الجامعة ، ولم أعجب لما جاء به الزميل ، فقد عادت بى الذكريات إلى أيام تلمذتى بالجامعة ، فتذكرت ذلك الأستاذ المعمم وقد جاءنا يرفل فى جبته وقفطانه ، حتى إذا عدنا من عطلة العيد وجدناه قد ارتدى زى المطربشين ، وإن كانت ملامحه وسحنته تدل على أنه من الشيوخ المعممين ... ذكرت ذلك الشيخ وهو يطلب منا أبحاثاً علمية ليقرأها ويصححها ثم يعيدها إلينا ، وكنا فى ذلك الوقت حريصين أشد الحرص على أن نرضى الأساتذة بهذه الأبحاث العلمية ، فكنا نسعى إلى المكتبات ونبحث فى أمهات الكتب حتى نفوز برضى الأستاذ عن البحث الذى نقدمه له ، ولكن ذلك الأستاذ — حفظه الله — بخل علينا بأبحاثنا ولم يشأ أن يردها إلينا ، ولم نلبث أن رأينا هذه الأبحاث قد ضمت بعضها إلى بعض وقسمت إلى أبواب وفصول ، وأصبحت كتاباً يحمل اسم الأستاذ العزيز ، وإن كنا نحمد للأستاذ أنه غير أسلوب هذه الأبحاث وجعلها بأسلوب واحد . أما الآراء ، فقد بقيت كما هى آراؤنا والنصوص التى استندنا إليها فى أبحاثنا بمراجعها لم يتغير شىء منها ...

وذكرت أيضاً ذلك البحث الذى صدرت به مجلة إحدى الهيئات العلمية ، وكيف قام أحد الطلاب يصيح فى وجه أستاذه الذى نشر البحث باسمه قائلا : إنى أعطيتك هذا البحث منذ شهر ، فلم يسع الأستاذ إلا أن يعترف أمام الطلاب أنه استفاد من البحث الذى قدم له ، ولكنه أصر الأمر فى نفسه ، وانتقم من الطالب فى آخر العام فرسب الطالب المسكين !

وهذه زميلة تتقدم برسالة ماجستير وتعطى بحثها لأستاذها المشرف ، ومكث البحث زهاء ستة أشهر عند الأستاذ ، وأخيراً أخذته منه ، فإذا به يفاجئنا بأن آراءها تتفق تمام الاتفاق مع آرائه ، فلما سألته : أين نشرت آراؤه هذه ؟ أجاب باسماً : إن كتابى سيظهر هذا الأسبوع وفيه هذه الآراء ! فأجابته ساخرة : الحمد لله أنك اطلعت على آرائى ولم أطلع على آرائك !

وذكرت ذلك الأستاذ الذى كان عضواً فى لجنة امتحان إحدى رسائل الدكتوراه ، فإنه بعد المناقشة احتفظ بنسخة الرسالة لنفسه ، فإذا تقدم طالب آخر يعطف عليه أشد العطف ، أعطاه الرسالة الأولى التى لم تكن طبعت بعد ، فإذا بالطالب يستعين بهذه الرسالة استعانة كلية دون أن يشير إلى ذلك ، وأكبر دليل نلمسه أن الرسالة الأولى كان الاعتماد الأكبر فيها على مخطوطات لم يرها أحد فى مصر لأنها فى حوزته ، ولم يطلع عليها أحداً ، ولا توجد هذه المخطوطات عند أحد سواه ، فإذا بالرسالة الثانية قد امتلأت بنصوص أخذت من هذه المخطوطات ... وتذكر كيف حضر صاحب الرسالة الأولى مناقشة الرسالة الثانية ، فلما رأى هذا السطو تحدث مع أعضاء لجنة الامتحان فى ذلك ، فكانت النتيجة أن هدده الأستاذ قائلا : أتريد أن تعمل على فشل الامتحان ؟ !

ولعله من المؤلم أن تحدث هذه المهزلة أمام اثنين من كبار المستشرقين ، ومن الطريف أن أحد أعضاء لجنة الامتحان استفهم عن هذه الشادة ، ومع ذلك لم يفعل شيئاً !

وأذكر أيضاً أن أستاذاً سافر إلى أحد الأقطار فدعى لإلقاء عدة محاضرات فى الإذاعة ، فأرسل برقية إلى أحد المعيدين ليكتب له سلسلة هذه المحاضرات ويرسلها له بالبريد الجوى ، وتقاضى الأستاذ مكافأته من الإذاعة فى حين أن المعيد قد لقى بعد عودته جزاء سنمار !

وأذكر هذا الأستاذ المشرف على بعض رسائل الماجستير يصرح فى مجلس الكلية أنه لم يقرأ هذه الرسائل ولكنه يوافق عليها ... وأذكر ذلك الأستاذ الذى سطا على أحد أعداد سلسلة « اقرأ » وأخذ يملى منه محاضرات على الطلاب دون أن يشير إلى الكتاب زاعماً أنها له ، ولم يفطن إلى أن الطلبة كانوا أسبق منه إلى قراءة هذا العدد !

ولعل أهم هذه الأحداث التى تتعلق بالأمانة العلمية فى الجامعة

أن أحد المدرسين إذ ذاك ألقى محاضرة بدار الجمعية الجغرافية الملكية عن رأى جديد فى النحو ، فإذا بهذا الرأى يظهر فى كتاب لزميل له دون الإشارة إلى صاحبه ، وإذا بهذا الأستاذ النحوى يغضب ويخاصم زميله ويستشهد بالآية القرآنية : « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة » ... يشير بذلك إلى كثرة كتب زميله ...

ولا ينسى الزميل الصديق الدكتور الشيال قصة هذه الكتب التى يوضع عليها اسم أستاذ من الأساتذة ومعه اسم تلميذ من تلاميذه على أنهما اشتركا فى تأليف هذا الكتاب أو ذاك ، فنحن نعلم من الذى ألف الكتاب ومن الذى استفاد منه ...

هذه كلها ذكريات يعرف بعضها الدكتور الشيال ، ويعرف بعضها زملاء الدكتور الشيال ، لعل فيها ما يخفف عنه ثورته للأمانة العلمية فى الجامعة ...

(أبو رشيد)

إلى الأستاذ أنور المعداوى :

نحن نتعقبك فى تعقيباتك الممتعة ، ويعجبنا فيك عاطفة متأججة ، وإيمان بما تكتب ، وصدق فنى فى تعبيرك ، ونكبر فيك صراحة واضحة ، وقلماً قوياً تقذف به فى صدر الزيف والبهرج والباطل ، فنزداد تعلقاً بك ، وحباً لقلمك ونشمر بهزة عنيفة تنفذ إلى مسامع القلب ، ومسارب الروح .

ومقاييس الشعر التى تحدثت عنها ، هى مقاييس صحيحة ، ومعايير صادقة ، ودراسة قصيرة « إيليا أبو ضي » على ضوئها كانت دراسة جيلة ، وأسلوباً فى النقد والتعليق يعد أسلوباً طريفاً لأنه ينصب على القيم والمعانى والأحاسيس والتجارب والظلال ، ولا يحفل بالشموذة اللفظية ، والبهرج الزائف؛ ولكنى لا أوافقك بل أعتب عليك عتباً كثيراً حينما تصب حكمك القاسى على الشعر العربى القديم جملة واحدة ، هذا التراث الذى نفخر به على الزمن هذا التراث الذى جملته خواء من الروح والعاطفة . إنك بهذا الحكم تهدم حضارة ، وتبعثر أمجاد أمة ، وأنا أعيذك من هذه النظرة ، وأرجو أن تراجع نفسك ، وتستشير ذوقك وحسك مرة أخرى ، وأنا موقن أنك لن ترضى لنفسك ، أن تسم الشعر العربى بهذه السمات « شعر السطوح الخارجية » شعر يشعرك بوجود « الفراغ الداخلى » إذ الشعراء كانوا يعيشون خارج « الحدود النفسية » .

لا لا يا أخى . ألم تقرأ شعر المتنبى ؟ اقرأه فى السيفيات والكافوريات فتراه شعراً منبثقاً من أعماق النفس ، هو فى ظاهره مديح ، ولكن وراء هذا ممان كلها أثر للاحساس النفسى والانفعالات الحزينة تارة ، المريرة أخرى ، الساخرة كثيراً . واقرأ شعر ابن الرومى فى رثائه ومدحه وهجوه فهو صادر عن نفس حساسة شاعرة ، وألفاظه شفافة موحية . واقرأ فى كل عصر من عصور الأدب ، فستجد شعر النفس ، وصدق الفن فى أكثر ما تقرأ . ولست الآن بسبيل الاستقصاء ، وضرب الأمثال من شعر الشعراء ، وكلام النقاد ؛ فإنما هى كلمة عابرة أكسر عليها قلمى حتى أسمع رأيك مفصلاً واضحاً .

هذا شىء ، وهناك شىء آخر ، لقد جعلت « شوقى » زعيم مدرسة فى حسن الأداء النفسى ، لأنه يملك الصدق فى الشعور وفى الفن ، وجعلته قريناً لشاعر آخر .

والمعروف أن المدرستين مختلفتان فى كثير من السمات والوجوه؛ فشوقى فى رأيى يحفل بالصدق الفنى ، ويتأنق فى عرض الصورة البيانية ، فطابع الصدق الفنى أغلب فى شعره من الصدق الشعورى ، وعلى النقيض من ذلك الشاعر « إيليا أبو ماضى » .

والذى يهمنى بعد ، أن توضح لى رأيك فى مكان شوقى بين الشعراء ، ومكانة شعره فى نفسك .

ولصديق الروح تحية ملؤها الحب والإعجاب والتقدير ...

(دمياط) عبد المنعم سليمان مسلم

أليس هذا مصريا ؟

كثيراً ما سمعت هذه الجملة تلوكها ألسنة الشبان وغيرهم عندما يعرض لهم شخصاً تزل قدمه فى الخطأ ، وترى الواحد منهم يرسلها بكل بساطة كأنه يعتبر بذلك المصرى علماً على الأخطاء .

هذا الأمر ليس شيئاً تافها ، إنما هو خطب جلل يأسف له كل وطنى يدرك ما ينطوى عليه من معنى فى نفوس الكثيرين من أبناء هذا الوطن .

إن ذلك معناه الشعور بالنقص بل معناه الإيمان بهذا النقص، معناه فقدان الكرامة الشخصية والإعتزاز القوى وانحطاط النزعة القومية إلى حد تصل معه إلى هذه الدرجة من الضعة .

إننا لو افترضنا جدلاً وجود بعض النقائص فى المصرى فليس لنا مطلقاً أن نتخذها مبعثاً للسخرية والتهكم ؛ لأن ذلك يعنى إعاننا بوجودها ؛ وإن مجرد إيمان كهذا يعتبر أخطر وأنكى من العيب نفسه إن لم يكن هو عين العيب ... إن الوهم فى ذاته من أخطر أسباب المرض ، فالواهم يخلق لنفسه المرض وهو صحيح . وهو بذلك يضاعف من مرضه بالوهم إن كان مريضاً ، ولعل معظم الأمراض العقلية والعصبية ترجع إلى ذلك الوهم الذى لا أساس له فى الواقع ، والمصرى إذ يتوهم فى نفسه النقص والضعة لا شك أنه بذلك سيخلق فى نفسه النقص إن كان منزها عنه وسوف يضاعفه إن كان مشوباً برشاش منه .

إن الفلاسفة الألمان يوم أعلنوا أن « ألمانيا فوق الجميع » وإن الإنجليز يوم اعتبروا عنصرهم أسمى العناصر ، وكال أتاتورك يوم جعل شعبه يؤمن بأن الترك أطهر الأجناس ، كل أولئك لم يكونوا داعين إلى عصبية قومية عمياء ولم يعتبروا قط أنهم أسمى البشر فعلا ، إنما كانت غايتهم أن يبثوا فى نفوس مواطنيهم الشعور بالكرامة والعزة ليصلوا من ذلك الشعور إلى مراتب الكرامة والعزة الحقيقتين .

وإن الله تعالى حين أعلن فى القرآن الكريم مبدأ « كنتم خير أمة أخرجت للناس » لم يكن — سبحانه وتعالى — بالطبع يدعو إلى عصبية دينية لأن القرآن نفسه قد حوى أسمى مبدأ فى المساواة التامة بين البشر جميعاً ، والقرآن فى ذلك يبتغى أن يجعل المسلم يعتز بنفسه ودينه ويشعر بالكمال والقوة فوق سائر الناس فيدفعه ذلك الشعور إلى العمل الذى يتفق معه ويؤدى إلى جعله حقيقة واقعة .

وهكذا تخلق الأمة القوية من مجرد الشعور القوى بالقوة والأنفة بينما تنحط الأمم مهما كانت قيمتها يوم يستولى عليها الشعور بالنقص ويبتليها الله بانحطاط الروح المنوية وضياع العزة القومية .

أخى المصرى ... إننا لم نصل بعد إلى هذه الدرجة المنحطة من الضعة والتفاهة حتى نوهم أنفسنا بذلك ، ومن الجرم أن يعتقد المصرى فى نفسه ذلك النقص ، فنحن بخير ويحق لنا أن نعتز بقوميتنا ، فإننا مهما بالغنا فى ذلك الاعتزاز فنحن أهل له . نحن شعب ناهض بلا شك ، وإن كان الاحتلال لا زال يعوق نهضتنا فليكن لنا من ثقتنا فى أنفسنا السلاح الذى نحطم به ذلك العائق حتى نحقق ما نراه فى أنفسنا من عزة وكرامة وقوة سجلها لنا تاريخنا النابر وهى فى سبيل أن يسجلها لنا التاريخ الراهن ، إذا كنت ناقصاً فى بعض الشىء يا أخى فلتعمل لتكمل فى نفسك ذلك النقص ، ولا تستشعر النقص فى نفسك ، فالشعور بالنقص هو النقص عينه ، بل قل « مصرنا فوق الجميع » ولسوف تصبح كذلك إن آجلاً أو عاجلاً فليس سبيل السيادة بمقصور على أمة أو شعب إنما هو مشاع للعاملين .

السيد على الشوربجى
كلية الحقوق



زائرة العـــرافة

عن الانجليزية

ترجمة الأديب سيد أحمد قناوى

في غرفة قليـلة الضوء تقع على جانب المعرض العام ... أثاثها ينحصر فى مائدة ومقعدين وبعض أشياء أخرى إن دلت على شيء فإنما تدل على مايعانيه ساكنها من بؤس وفقر ... وعلقت فى واجهة الغرفة لافتة كتب عليها هذه العبارة « مدام لاسترا قارئة الكف. استفسارات عن مسائل الحب والزواج والمال على أحدث القواعد العلمية » ... فى هذه الغرفة المتواضعة جلست السيدة « لاسترا » تنصت فى ضجر وضيق إلى أصوات الضحك والمرح التى كانت تنبعث فى أرجاء المعرض خارج غرفتها ... فقد كانت تلك الليلة رأس السنة الجديدة ، فأرسلت أفكارها بعيداً تستعيد ماضى لياليها وتستعرض أيام بهجتها وسرورها ... حتى قادها تفكيرها فى النهاية إلى ليلة تماثل هـذه الليلة فى البهجة والمتاع واللهو ... كانت هى فيها تختال بين الرجال حتى انتابتها نزوة غرام عارضة أطلقت فيهـا للشيطان العنان ... فـكانت ليلة فاصلة بين حياة الزوجيـة السعيدة وحياة الشقاء التى تحياها الآن .

فاجنت من وراء تلك النزوة العارضة — وا أسفاه — غير الحسرة والخيبة والمرارة .

لقد كانت السـيدة « لاسترا » فى أيام سعادتها على جانب كبير من الحسن والبهاء : كان لها شعر أسود وعينان عسليتان حالمتان قبل احتراف هـذه المهنة البغيضة إلى نفسها كما كانت زوجة لأستاذ علم الآثار الشهير « جيمس كارستيرز » تعيش معه فى بحبوحة ويسر ، لا تعرف معه للضيق معنى ، ولا تذوق من الفاقة ما تتجرع الآن غصتـه ... وعند وقوع حادث الغرام الطائش حُملت على طلب الطلاق من زوجها فكان لها ما أرادت ، وإن هى الآن لا تقاسى منه غير العسر ومرارة الذكريات .

ولن تنسى ما عاشت قول « جيمس » لها وهو يجيب إلى طلب الطلاق :

« إن بحثت عن أبغض إلى قلبى ، تجدينه الطلاق منك ... ولـكن إذا كان فى الطلاق جلب لسعادتك وهنائك فواجبى يحتم علىَّ أن أضحى بحبى وقلبى بلا تردد » .

وكم تنفجر عواطفها ، وتهتز أعصابها حينما تذكر أنه تزوج بغيرها طلباً للخلف ... فقد تزوج بعد طلاقه منها من فتاة تدعى « أليس دين » وهى فتاة آية فى الجمال وقد وصفها الناس بأنها شقراء الشعر نحيفة القد أنيقة الهندام .

جلست مدام « لاسترا » فريسة لهذه الذكريات تنهش قلبها وتستبد بنفسها فما أنقذها منها سوى قدوم زائرة جاءت لاستطلاع حظها ... وسرعان ما اعتدلت العرافة « لاسترا » فى مجلسها ، وسوت شالها فوق رأسها وشبكت يديها وأسندت مرفقيها إلى المائدة فقد لاحظت فى السـيدة الزائرة من الهيبة والوقار ما حملها على الاهتمام بأمرها ، والتطلع إلى مكنون سرها ..

ومن عجب أن هذه «الزائرة» لم تدخل كغيرها فى اضطراب وعجلة ورغبة ملحة فى استطلاع مخبآت الغيب ، بل هى على النقيض من ذلك ، إذ أنها دخلت فى تؤدة ووقار وهدوء ، تظلل محياها الشاحب وشعرها الأشقر قبعة عريضة الأطراف ، ولم تلبث أن نزعت قفازها دون أن تبس بكلمة ، وكان الإطراق رائدها ، ومسحة من الحزن تعلو جبهتها ... فدل مظهرها على ما تحمله من أمر عظيم وهم دفين . وأخيراً قدمت يدها اليسرى فإذا هى تتحلى بخاتم من الفضة مرصع بحجر من الزبرجد ... لم تـكد السيدة « لاسترا » تبصر هذا الخاتم حتى خفق قلبها عنيفاً حتى كاد أن ينخلع من صدرها وإن كتمت مع ذلك شعورها حتى لا تثير شك زائرتها ..

فإن هذا الخاتم الزبرجدى هو قرين العقد الزبرجدى الذى تحمله هى حول عنقها ، وكلا الخاتم والعقد من مُقتنيات العالم الأثرى « جيمس كاستيرز » جلبها من تنقيبه فى الآثار المصرية القديمة ، وليس لها فى عالم الحلى نظـير ؛ ولا ريب فى أنه أهدى الخاتم إلى زوجته الثانية كما أهدى العقد إلى زوجته الأولى ... بكل هذه

الخواطر رفعت السيدة « لاسترا » عينيها إلى وجه الزائرة تلتمس من تقاطيعها ما يؤيد ظنونها ويحقق خواطرها ... فإذا هى تتذكر أوصافها التى سمعت عنها :

شقراء الشعر دقيقة الملامح أنيقة الهندام ؛ فى نحو الثامنة والثلاثين من العمر ، وبالإجمال لم يبق عندها من شك فى أنها هى « أليس دين » المرأة التى انتزعت منها زوجها بعد طلاقها منه ... وهكذا مضت الزائرة « أليس » فى صمتهـــا فبادرتها السيدة « لاسترا » بقولها :

— لقد كنت تمثلين على المسرح ... أما الآن فأنت قد اعتزلت التمثيل وأصبحت زوجة !! .. فأومأت الزائرة إيجاباً . فاستطردت السيدة « لاسترا » :

— وقد تزوجت منذ تسع سنوات فأومأت الزائرة مرة أخرى دون أن تبدى أدنى دهشة لما تسمع من دقة التفاصيل وقالت بصوت مشوب بالنحيب :

— إنه تزوجنى لكى ينسى امرأة أخرى ، فلم يبق شك فى نفس السيدة العرافة ... فهى الآن تواجه خليفتها عند زوجها ، فخارت قواها وتبددت أنفاسها ... واستسلمت للتفكير العميق الذى أبرز الآن صورة « جيمس » فى أطواء الماضى ... ولم تلبث حتى قالت لمنافستها :

— لا بد أن تكونى سعيدة مع زوجك .

— إنى سعيدة حقاً .

— إنه يحوطك برقة وحنو ندر أن يكون لهما مثيل فى هذه الدنيا فيجدر أن تكونى لذلك أهلاً ، ولا تشكى فى إخلاصه فهو مثال طيب للرجل الجدير بالحب والاحترام . فقالت الزائرة فى صوت أقرب إلى الهمس :

— صدقت فيما تقولين !

— إن حياتك مشوبة ببعض المتاعب والقلاقل ، وإن لزوجك مشاكله الخاصة ، فإن وجدت منه بعض الهفوات أو ساءك منه شىء ، فاذكرى أن نوابغ الرجال لا يستطيعون أن يوفقوا بين نبوغهم وبين توافه الأمور ... إنهم ... ولكن السيدة كفت عن الاسترسال فى حديثها خشية الإفتضاح بذكر هذه التفصيلات الدقيقة .

فردت « أليس » فى حدة :

— لقد وجدت المتاعب التى تشيرين إليها ، ولكنها انتهت ومضت . انحازت العرافة « لاسترا » إلى التفاؤل قياماً بالواجب حيال زائرتها ثم اردفت :

— سيكون الخير .. وستسير الأمور على أحسن ما تكون .. ويومئذ لا تنسى أن تخبرينى . وهنا وقفت الفتاة « أليس » بوجه متجهم وقالت :

— كل شىء بخير كما قلت لك .. وهذا هو سبب حضورى إليك ... إنه يريدك إلى جانبه يا « أنا كارستيرز » إنه لم ينقطع لحظة عن التفكير فيك وعن محبته لك .

فهبت السيدة « لاسترا » عند سماعها هذه الفجاءة التى لم تكن فى حسبانها .. ووثبت واقفة كالمصعوقة وهتفت :

— كيف عرفت مكانى ؟ . . ولماذا جئت إلى — أيتها الماكرة — أنت من دون الناس جميعاً ؟ .

— لأنه يجب أن تعودى إليه ، فأنت ملاكه وأنت حياته .. ولا أستطيع أنا ولا أية فتاة أخرى أن تسد الفراغ الذى أحدثته فى قلبه .

— لا يمكن .. لا يمكن هذا .. وأنت بلا شك تعرفين أن هذا ضرب من المحال !

— إنه الآن فى مسيس الحاجة إليك أكثر من أى وقت مضى . فإن عدت له أديت إلى خدمة أذكرك بها على الأرض وفى السماء .

— لكن كيف أعود إليه وقد ربط بينك وبينه حبل الزوجية . محال أن أعود فأفرق بينكما ، وربما أمجى بذلك عليك ، وأنا أحب أن أموت مضحية بحبى ، ولا أفرق بين زوجين سعيدين فتراخت الزائرة « لاسترا » وسكبت دموعاً غزيرة وأخذت تنتحب طويلاً ثم رفعت رأسها وغمغمت وكأن صوتها صادر من مكان سحيق ...

— إنه يحبك يجب أن تعودى إليه .. ولا أستطيع أن أقف بين قلبين متحابين .

— ولقد تحققت من أن «جيمس» سوف لا يكون سعيداً هانئاً إلا فى ظل رعايتك ... فكونى له على حبه لك مدينة ، ولتجملك الأيام عوناً له من بعدى ، فلم يبق لى الآن فى دنيا الناس نصيب ..ثم صمتت قليلاً وحركت لسانها بكل تثاقل وهى تقول : وداعاً يا «جيمس» .. وداعاً يا سيدتى .. ثم خرجت تجر قدميها فى سكون وصمت .

شعرت «لاسترا» العرافة بجو الغرفة بارداً ، فاظلمت الدنيا أمام عينيها وسقطت مغشياً عليها ... ولما استفاقت بعد ساعات طويلة أخذ جسمها يرتعد بشدة ... وساورها خوف شديد ... فقد كان صدى كلمات الزائرة «أليس» لا يزال يتجاوب فى أنحاء الغرفة . وخاصة وهى تستحثها على العودة إلى «جيمس».. وقد كانت ولا تزال هذه العودة أمنية قلبها ورجاءها الوحيد فى الحياة ... ولكن كيف السبيل إلى هذه العودة وقد خالج قلبها هم جديد .. وهو أمر الزائرة «أليس» وفجأة سمعت طرقاً شديداً على باب حجرتها ... فظنته أحد الزوار فقامت متثاقلة وفتحت الباب ... وما أشد دهشتها حينما بدا «جيمس» بمحياه الباسم وبادرها بقوله :

— أهذه أنت يا «لاسترا» ما أسعدنى من رجل ! .

وكان تفكير «لاسترا» لا يزال عالقاً «بأليس» بالرغم من رؤية «جيمس» فسألته قلقة :

— هل رأيت زوجتك «أليس» ؟

— حمقاء «أليس» فقد انتحرت منذ لحظة قصيرة ولست أعرف لذلك من سبب سوى نفور بدا عليها من أيام .

والآن فما أسعدنى إذا قبلتنى مرة أخرى لك زوجاً أعيش بقية أيامى فى سعادة وهناء . ثم قبلها قبلة طويلة كانت فاتحة لحياته الزوجية الجديدة .

سيد أحمد قناوى

(عطبرة — سودان)

مطبعة الرسالة